مجلة الدراسات الإفريقية ـ العدد ٢٧ (٢٠٠٥) : ٥٧ - ٩٣

تطور الخريطة السياسية الأفريقية

أ.د/ السعيد إبراهيم البدوي(*)

مقدمة:

الخريطة السياسية: لأي إقليم أو قارة هي نتاج للتفاعل بين الظروف الطبيعية والبشرية وتطور علاقات السكان مع الشعوب والقوي الأخري سواء الداخلية أو الخارجية وذلك عبر فترة زمنية سواء أكانت طويلة أم قصيرة.

ويعتبر انتشار الإسلام في القارة، وتغلغل الاستعمار بها أهم حدثين تاريخيين مؤثران في الخريطة السياسية لأن كلاهما يكون منظومة متكاملة، وهناك عوامل تؤثر في هذه الخريطة وهي:

أولاً: العوامل الطبيعية:

١ - الموقع والعلاقات المكانية وأهمية أفريقيا بين قارات العالم.

٢ - التكوين الصخري وأثر ذلك علي المعادن وبالتالي الاستعمار.

٣ - التضاريس وأثرها علي عرقلة التوغل من الساحل إلي الداخل ثم الاستقرار واستعمار المناطق الملائمة بعد تعديد المناخ بواسطة التضاريس.

٤ - الحرارة وأثرها علي الامراض وعدم ملاءمة ذلك للاستعمار الأوربي.

٥ - الامطار وأثرها علي الغابات والأمراض وأثر ذلك علي عرقلة التغلغل الاستعماري في الداخل، ولكن من ناحية أخري اثرها علي نجاح زراعة بعض المحصولات الهامة وتصديرها للخارج.

(*) أستاذ متفرغ بقسم الجغرافيا معهد الدراسات والبحوث الافريقية - جامعة القاهرة .

٦ – النبات الطبيعي (الغابات وأثرها علي سيادة الحشرات والأوبئة وبالتالي عرقلة التغلغل الاستعماري لفترة أربعة قرون.

٧ – الأنهار وأثرها علي الكشف الجغرافي وبالتالي كانت بمثابة الشرايين لدخول الاستعمار.

٨ – الصحراء الكبري وأثرها علي تعطيل التقدم الاستعماري نحو الداخل.

ثانياً: العوامل البشرية:

- الحضارات والممالك السائدة في القارة وأثرها علي مقاومة التدخل الأجنبي.
- تجارة الرقيق وأثرها علي جذب أنظار القوي الاستعمارية للسيطرة علي مناطق القارة التي تأتي منها تجارة الرقيق خصوصاً من غرب أفريقيا، مع وجود متناقضة بين تجارة الرقيق وتحريمه من جانب بريطانيا نكاية في استقلال الولايات المتحدة عن بريطانيا، والقوي الاستعمارية اللاتينية في أمريكا اللاتينية.
- الفكرة السائدة عن وحشية السكان الوطنيين الأفارقة وأكلهم لحوم البشر خصوصاً لحوم «البيض».
- تناحر القبائل الأفريقية وعدم وجود سلطة مركزية قوية في أنحاء واسعة من القارة وأثر ذلك علي تشجيع الاستعمار.
- الثروة المعدنية الضخمة للتصدير لأوربا إبان الثورة الصناعية الكبري في القرن ١٧، ١٨.
- الثروة الزراعية وتشجيع الشركات الكبري لإقامة المزارع الواسعة estates وزراعة المحصولات الهامة اللازمة للتصدير إلي أوربا لإدارة المصانع الأوربية.
- الصراع بين القوي الأوربية الكبري في أوربا وخارجها للسيطرة علي العالم.

والآن نستعرض الخريطة السياسية لأفريقيا عبر المراحل الزمنية المختلفة كالآتي:

فترة الاستعمار: في هذه الفترة كان يوجد نمطان للمجتمع الإفريقي:

الأول: قائم علي نظام القرابة.

الثاني: قائم علي نظام الزعامة.

وتتكون جماعة القرابة من هؤلاء الذكور الذين يُرجعون أصلهم إلي سلف مشترك. وتمتلك جماعة القرابة هذه أرضاً مشتركة بهدف خدمة المجموع، وعلي رئيس الجماعة أن يقدم أضحيات لهؤلاء الأسلاف من أجل خير الجماعة ورفاهيتها. أما في حالة تجمع مجموعة من جماعات القرابة هذه من أجل أغراض عامة مشتركة مثل الحرب فإن نظام الزعامة في هذه الحالة يظهر وينبثق. وقد تطور وازدهر نظام الزعامة والقبلية في الجزء الأكبر من أفريقيا الذي يسود فيها عنصر البانتو. وقد طورت هذه القبائل البانتوية المهاجرة المحاربة هذه النظم حتي حولتها من نظام جماعة القرابة إلي نظام إنشاء الدولة.

وفي هذه الفترة كانت توجد علاقات متبادلة واضحة بين القوانين التقليدية والعرف السائد والزراعة المتنقلة والبيئة الطبيعية السائدة. وقد كانت الجهود المشتركة مطلوبة ولازمة لاجتثاث النبات الطبيعي تمهيداً للزراعة، وكذلك لبناء الأكواخ وإنشاء الدروب والممرات عبر الغابات. وكانت تناقش وتتخذ القرارات فيما يمكن أن نُطلق عليه الجمعية القبلية وذلك بواسطة الزعماء وكبار السن والمجلس نفسه كما كان يفعل قبائل الجرمان سكسون في المناقشات والمناظرات الشعبية، حيث كانت تناقش الأمور وتتخذ القرارات أيضاً.

ولقد كانت الحياة صعبة وشاقة في ذلك الوقت وكانت تستدعي الصراع المستمر والجهود المشتركة من أجل تأمين المجتمع ورفاهيته.

وقد كانت القوي الطبيعية أو الروحية المؤثرة في المجتمع القبلي غير مفهومة من الناحية الفعلية المنطقية بالنسبة لأفراد هذا المجتمع حيث أن الرموز المتمثلة في الأساطير والطقوس كان يتشبث بها إذا كان ذلك من أجل تقدم القبيلة وازدهارها..

وكانت هذه القيم الأسطورية الروحية تعكس العناصر الطبيعية الأساسية مثل التربة، الأمطار، الأسرة والخصوبة، وقد كان لدي رئيس الجماعة علاقة روحية مع شعبة حيث أنه كان الحارس لأخلاقيات القبيلة الأصيلة التي تجسد وحدتها.

وحيث أن المجتمعات الأفريقية كانت تعتمد أساساً علي الاقتصاد الاكتفائي فإن الثروة لم تكن تتجمع أو تتكون علي شكل رأسمال تجاري، ولهذا فإن الحق في فرض الضرائب والجباية والعمل كان مظهراً أساسياً من قوة الزعيم. وربما كان من أهم السمات المميزة للدولة الأفريقية هو الحق في تشغيل القوة المنظمة في الأوقات الخطرة والعصيبة.

ومن الممكن أن يُساء استخدام هذه القوة في أيدي حاكم مستهتر حيث تُعتبر أداة قمع ولكنها في يد الحاكم العاقل تُستخدم من أجل خير الجماعة. ومع ذلك فقد كان من النادر أن يصبح حاكم الدولة الأفريقية أتوقراطياً إلي حد كبير، حيث أنه كانت توجد مجموعة من الضوابط والموانع للسلطة التي يتمتع بها، فقد كان الزعيم الأكبر يوكل المسئولية للزعماء والأعيان وفقاً لنظام (هيراركي) أي نظام هرمي في الأقسام الإدارية الصغيرة، وإذا ما أصبح الزعيم الأكبر قوياً أكثر من اللازم وحاول استخدام السلطة التي في يده استخداماً سيئاً فإن الزعماء التابعين له سوف يخرجون عن طوعه، كذلك كانت توجد مجالس ومحاكم لمراجعة السلطة المركزية، وبما أن الزعيم لديه الحقوق فإن عليه واجبات أيضاً

لشعبه هي حمايته من التعدي عليه، وشرح وتفسير القوانين والعُرف القبلي، كما أنه يتحمل مسؤلية رفاهية شعبه.

وتتباين المؤسسات السياسية تبايناً واضحاً في أنحاء القارة الأفريقية فقد نشأت وتطورت دول مفردة ومركبة خلال فترة طويلة علي سواحل شمال أفريقيا وفي وادي النيل، وفي نطاق السفانا. أما غرب أفريقيا فقد كان هناك تبايناً واضحاً بين المنظمات السياسية المفككة عند الأيبو Ibos وممالك اليوربا المركزية التي كان يحكمها الأوبا Oba وبين القبائل الوثنية المبعثرة في النطاق الأوسط، وتحالف شعوب الأكان Akan (أي التي تتحدث بلغة الأكان) (غانا) الذين كونوا اتحاد الأشانتي.

أما في شرق أفريقيا فقد كان هناك عديد من أنماط التنظيم السياسي، فالنيلوتيون لديهم شكل لا مركزي من الكيان السياسي بينما نجد انه بين مجتمع بانتو البحيرات تطور نظام متقدم تحت تأثير الغزوات الحامية.

أما في الجنوب أكثر من ذلك فإن البنيان القبلي الذي يرأسه زعيم يصبح أكثر قوة . وفي جنوب أفريقيا كان النظام السياسي مركزياً جداً، وذلك عن طريق زعيم أكبر يسيطر علي عدد من الجماعات عن طريق (هيراركية) من الزعماء والأعيان ، ونلاحظ أنه لدي مجموعة من القبائل نجد أن نظام الحرب ينبني أساساً علي التحاق خصوصا الزولو ولذلك كانت هذه المنطقة من المناطق الصعبة شديدة المراس التي لم يستطع الغزو الأوربي أن يسيطر عليها بسهولة. ويمكن أن نعطي بعض التفصيلات عن النظام السياسي عند الزولو، فتحت تأثير ونفوذ الشاكا والدجنان Shaka & Dignan توضع عشائر الزولو المختلفة علي أسس عسكرية، حيث أن الفرق العسكرية تحت الإشراف المباشر للزعيم الأكبر

وتعيش في ثكنات حول الكرول الأعظم Great Kraal ، ولهذا فإن عديداً من العشائر انصهرت في وطن الزولو الذي يرأسه الزعيم الأكبر وأصبحت تكن له الوفاء والإخلاص وفي سبيله تقدم الخدمة العسكرية والعمل والهدايا من الحبوب والبيرة والمواشي، وبالتالي فإن علي الزعيم أن يوفر لشعبه الغذاء ويقدم له المساعدة بكل سخاء. ويمارس الزعيم الأكبر مقاليد السلطة ويتبع له مباشرة الزعماء الذين يشرفون بدورهم علي الإندونا Indonas أو الزعماء الصغار. وأخيراً نجد أعيان الجماعات، وتعتبر العواصم الإقليمية مركز الحياة الاجتماعية، وتشكل الدولة بشكل واضح حياة السكان حيث أن الرجال يتجمعون حول الكرول الأعظم في حين أن النساء والفتيات يقمن بتربية المواشي وحلبها . ويقوم الرجال بزراعة المحصولات بالإضافة أيضاً إلي تربية المواشي.

وقد كانت التخوم Frontiers ذات أهمية كبيرة بالنسبة للجماعات الأفريقية قبل مرحلة الاستعمار، إذ أنه بين الجماعات التي تعتمد علي الصيد والجمع مثل البشمن كانت تتجول في منطقة محدودة جداً ، وكان تعدي هذه الحدود صعباً ، حيث كان ينظر إلي الأجانب أو الغرباء نظرة الشك والريبة. إلا أنه بعد إنشاء الدول الكبيرة في داخل النطاق السوداني أصبح من الممكن للرحالة – مثل بن بطوطة – أن يتجولوا في مناطق واسعة عبر مثل هذه الحدود. وقد استطاع مكتشفوا أفريقيا في القرن التاسع عشر أن يعبروا قارة أفريقيا ولكن عن طريق الأدلاء الوطنيين وكذلك عن طريق موافقة السكان الذين يعبرون أراضيهم أو عن طريق استخدام وسائل فنية متقدمة، وفي بعض الأحيان كان يتم ذلك عن طريق استخدام القوة لتحقيق أغراض هؤلاء المكتشفين للقارة الأفريقية.

وجدير بنا هنا أن نذكر أنه قبل بداية الاستعمار الأوربي للقارة كانت توجد سلطنات إسلامية قوية وكذلك دول إسلامية قوية إلا أن القوة الاستعمارية الغاشمة استطاعت بفضل الحديد والنار أن تسيطر علي معظم القارة في فترة وجيزة نسبياً. فقد تأسست سلطنة في سنار بالسودان وتعرف باسم السلطنة الزرقاء أو (السوداء) وقد اتسع ملك الفونج من القرن ١٦ إلي الربع الأول من القرن ١٩ وامتد نفوذهم حتي الحبشة مكونين بذلك دولة قوية، وكان الفونج ورعاياهم من غير العرب يشجعون بعض رجال الدين المسلمين علي زيارة مملكتهم والاستقرار فيها، وعن طريق هؤلاء العلماء انتشر الإسلام علي نطاق واسع في هذه المنطقة. وقد امتدت مملكة الفونج في أوج قوتها من الشلال الثالث علي النيل النوبي شمالاً إلي النيل الأزرق جنوباً ومن البحر الأحمر شرقاً إلي كردفان غرباً.

وقد انتهت سيادة الفونج باستيلاد (محمد بن ابي لكيلك كتمو) الذي توفي عام ١٧٧٦ علي السلطة وبدأت الانقسامات الداخلية والحروب الأهلية بين الشعوب التي كانت منضوية تحت لواء هذه المملكة حتي غزا الاتراك العثمانيون بلادهم فسلموا لهم دون قتال.

كذلك تكونت مملكة دارفور في غرب السودان. وهذه المملكة كان يسكنها العنصر الزنجي ثم وفد شعب الداجو (وهو زنجي أيضاً) وسيطر علي البلاد في القرن ١٢ الميلادي ، ثم جاء قوم من (تونس) يدعون « التنجور» اختلطوا مع الداجو وتكون بذلك شعب الفور. وقد دخل الإسلام بحق إلي هذه المنطقة علي يد أحد ملوكها يدعي (سليمان سولو) وهو أول من أسلم من قبائل الفور الوثنيين. وسيطر هذا الملك علي مناطق واسعة في دارفور وكردفان ونشر الإسلام علي نطاق واسع ثم انتشر الإسلام غرباً إلي واداي وباجرمي والمناطق المجاورة لبحيرة تشاد.

وظلت هذه المملكة مستقلة استقلالاً ذاتياً رغم خضوعها الإسمي للعثمانيين حتي دخول الإنجليز إلي السودان في القرن الماضي.

كذلك تكونت سلطنات مختلفة في الحبشة أهمها دهلك وهي جزر في البحر الأحمر وعوان علي ساحل البحر الأحمر مقابل تهامة علي خليج عدن، ومقدشو أو (مقدشيو) علي المحيط الهندي وعدل علي حدود الحبشة. وشوا.. إلخ وقد كان هناك صراع مستمر بين الأحباش المسيحيين وهذه السلطنات الإسلامية حتي جاء البرتغال والطليان أخيراً.

وفي شمال أفريقيا تكونت الدول الإسلامية، وكذلك في غرب أفريقيا حيث تكونت مملكة غانا، وهي من أقدم ممالك غرب أفريقيا حيث خرجت جماعة من الشمال في حوالي القرن الثاني عشر الميلادي واتجهت جنوباً واستقرت مع شعوب المندي والسوننكي الزنجية. وسيطروا علي الأمور. وقامت بعدهم سيطرة السوننكي التي انتهت في القرن ١٣م، واتجهت هذه الجماعات «البيضاء» الشمالية إلي بلاد فوتاجالون وسيطروا عليها أيضاً بعد المصاهرة مع السكان الأصليين من التوكولور والولوف والسرير حتي استطاع التوكولور أن يتخلصوا منهم، وفي هذا الوقت كان هؤلاء «البيض» قد أصبحوا أفريقيين شكلاً ومضموناً وأصبحوا فيما بعد هم الفولاني fulani، وقد توسعت مملكة غانا تحت حكم السوننكي توسعاً كبيراً حتي بلغت بلاد المغرب شمالاً وتمبكتو شرقاً ومنابع نهر النيجر في الجنوب الشرقي ومنابع نهر السنغال في الجنوب والجنوب الغربي - وكانت هذه المملكة ذات أهمية كبيرة لأنها كانت ملتقى التجارة بين الشمال والجنوب. من الشمال الملح والنحاس والفواكة المجففة ومن الجنوب الذهب والعاج والرقيق. ويتم التبادل عن طريق التبادل الصامت. Silent Exchange وظلت هذه المملكة قائمة حتي قامت دول المرابطين في المغرب، حيث سقطت هذه المملكة علي يد أبي بكر بن عمر زعيم المرابطين.

كـذلك قـام الفـولانيـون الـذين هاجـروا من بلاد التكرور (التـوكـولور) بتكوين إمبراطورية في صوصـو غرب إقليم مـالي، وضم مناطق أخري إليها ولكن سـرعان ما تدهورت الإمبراطورية في القرن الثالث عشـر.

ومن الممالك الهامة الإسـلامية في غـرب أفريقيا مملكة مالي التي كانت تضم خمسة أقاليم هي: مـالي + صوص + غانة + تكرور + كوكو، وقد امتد نفـوذ هـذه المملكة إلي مناطق واسـعـة في القـرن ١٣م . وقـد احـتلت مـالي مكانة غـانة كـأغني مركـز تجـاري في السـودان وبدأ التجار قبل نهاية القرن ١٣. يفدون إليها من شمال أفريقيا ويقيمون فيها.

وقد بلغت إمـبراطورية مـالى أوج قوتها فى عهد منسى (معناها ملك) موسى فى القرن الرابع عشـر الذى استطاع أن يضم وَلاَتَه وتمبكتو وُجَوا ، أى أن الدولة امـتـدت ، من بلاد التكرور غـرباً ألى واداى شـرقـاً ومن وَلاَتَه شـمـالاً إلى فـوتاجـالون جنوباً . ووصلت مـالى إلى قمة مـجدها السـياسى والثقافى والاقتصادى وأصبحت تمثل كل التيـارات الفكرية التى تعيش فى السودان الغربى يوم ذاك .

وكانت صلة مالى بمصـر والمغرب العربى قوية لدرجة كبيرة، وقد تنقل بن بطوطة فى بلاد مـالى فى القـرن ١٤م ووصف حـالة الأمن والسـلام وتمسكهم بالدين ومحافظتهم على الصلاة. وقد بدأت دولة مالى القوية فى الاضمحلال فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، وفى منتصف القـرن ١٧ أصبحت مملكة مالى مجرد دولة صغيرة ضمن إمبراطورية أخرى تطورت وسطعت هى مملكة صُنْغَىْ التى ظلت قـائمة حـتى دخلتهـا قـوات مـراكش واسـتولـت على مدنها حتى قامت إمارة الَبمْبَارَا أخيراً بالاستيـلاء عليها .

ومن المماللك الهـامة أيضاً ممـالك الهوسـا التى قامت فى شمال نيجيريا فى القـرن ١٣ م بعد دخول الإسـلام إليهم، وفـى نهـاية القـرن ١٨ م استطاع

عثمان دان فوديو تجميع هذه الممالك " متجهاً بها نحو نشر الإسلام وتخليصه من الشوائب التى لحقت به وكان اتجاهه صدى للدعوة الوهابية فى الجزيرة العربية .

كذلك قامت سلطنة كانم وبُرنو فى القرون الوسطى حتى القرن التاسع عشر حتى دخلها الجيش المصرى تحت إمرة الزبير باشا بقيادة مولاه " المعبد رابح " ثم أخيراً دخلها الفرنسيون .

كذلك تكونت سلطنات فى شرق أفريقيا أهمها سلطنة زنجبار التى ظلت موجودة حتى عام ١٩٦٥ وإن كانت بدأت سلطتها تضمحل بالتدريج من منطقة شرق أفريقيا التى كانت تسيطر عليها كلها فى البداية حتى أصبحت منعزلة فى جزيرة زنجبار فقط فى أواخر أيامها ثم اتحدت زنجبار مع تنجانيقا أخيراً مكونة جمهورية تنزانيا .

بداية الاستعمار وسياسته فى أفريقيا :

لم تتحدد الحدود الاستعمارية إلا فى حوالى نهاية القرن التاسع عشر فقط وقد قسمت كل القارة بسرعة بين القوى الاستعمارية. وكما سبق أن أشرنا فإن الكشف والاستعمار الأوربى لأفريقيا بدأ بالبرتغاليين فى غرب أفريقيا وأنجولا وموزمبيق والساحل الشرقى لأفريقيا فى القرنين الخامس والسادس عشر. وتبع ذلك الهولنديون الذين استوطنوا منطقة الكيب فى عام ١٦٥٢م ثم بعد ذلك تغلغل الإنجليز والفرنسيين فى أجزاء من غرب وشرق أفريقيا وكذلك أفريقيا الشمالية .

وقد أدى ظهور الألمان والبلجيك على مسرح القارة الأفريقية فى نهاية القرن ١٩ إلى آحتدام الصراع والتكالب على المناطق الأفريقية من جانب القوى الأوربية وكان ذلك بالطبع دافعاً قوياً لتحديد مناطق أو مجالات الصراع والمنافسة بين نفوذ هذه القوى الأوروبية .

وقبل هذه الفترة كان الاستغلال الأوربى لأفريقيا مقصوراً على الساحل بصفة شبه كلية، فيما عدا الأجزاء الجنوبية من القارة ، وكان ذلك يرجع إلى أسباب عديدة جعلت الأوروبيين يحجمون عن التغلغل فى أعماق القارة الأفريقية ، ولهذا فإن الجزء الأعظم من داخل أفريقيا لم يكن معروفاً لدى الأوربيين حتى منتصف القرن التاسع عشر، وإن كانت بعض هذه المناطق الداخلية خصوصاً فى شرق ووسط أفريقيا كانت معروفة للعرب القادمين من المحيط الهندى .

وكانت عملية تحديد الحدود سريعة جداً ، إذ فى خلال عشرين عاماً (من حوالى ١٨٩٠-١٩١٠) كانت معظم حدود القارة الأفريقية قد رسمت فى حين أن هذه العملية استغرقت عديداً من القرون فى قارة أوربا مثلاً. وقد تحولت مناطق التخوم التى كانت تفصل فى الماضى بين مناطق نفوذ القوى الأوربية المتصارعة إلى حدود ، بينما رسمت خطوط التقسيم الجديدة العديدة على الخرائط دون مراعاة لتوزيع السكان أو تجمعات القبائل .

وقد استطاع البريطانيون الذين تقدموا من الساحل إلى الداخل فى غرب أفريقيا من مستعمرات ساحلية ضئيلة فى غمبيا ، سيراليون ، ساحل الذهب ، دلتا النيجر ، واستطاعوا أن يضموا مساحات واسعة من نطاق السفانا فى نيجريا وقد أصبحت معظم الأراضى الجديدة يطلق عليها اسم محميات . أما الفرنسيون الذين تقدموا نحو الداخل فى غرب أفريقيا من منطقة السنغال شمال منطقة غابات غنيا فقد استطاعوا أن ينفذوا بسرعة إلى النطاق السودانى ،ففى خلال سنوات معدودة احتلوا مناطق واسعة فى غرب أفريقيا والصحراء الكبرى ، وبذلك استطاعوا أن يجدوا لهم مواطئ أقدام ساحلية فى غنيا وساحل العاج وداهومى وكذلك باشر الألمان، هذه اللعبة الاستعمارية بقوة واستطاعوا أن يحتلوا توجولاند والكميرون فى

غرب أفريقيا وشرق أفريقيا الألمانية وجنوب أفريقيا الألمانية . م وقد فُسِّر هذا التوسع الألمانى على أنه تهديد للمستعمرات البريطانية والفرنسية فى أفريقيا .

ولقد تكون (الموازيك) السياسى Political Mosaic فى غرب أفريقيا بسرعة من المستعمرات والمحميات البريطانية التى تتزاحم على طول الساحل الغربى لإفريقيا بشكل ملفت للنظر Jostling each other ويقف وراء كل هذا نطاق من السفانا الذى سيطرت علية فرنسا فى ذلك الوقت .

ولقد أعطى الاتفاق الفرنسى البريطانى الذى عقد ١٨٠٨ - ١٨٩٩ السودان لبريطانيا، ولكن أفريقيا الشمالية والغربية و الاستوائية التى ضمتها فرنسا إليها كونت كتلة شاسعة مترامية الأطراف. أما فى الكنغو فقد سيطر علية الملك ليوبولد الثانى ملك بلجيكا وحوله إلى دولة حرة شاسعة المساحة. أما فى الشرق فكانت توجد أوغندا وشرق أفريقيا البريطانية اللتان كانتا تمثلان مجال نفوذ لبريطانيا فى شرق أفريقيا، ولكن مما كان يهدد الاتصال بالمستعمرات البريطانية فى أفريقيا الجنوبية شريحة وسطى هى أفريقيا الألمانية (تنجانيقا) .

ولقد انهار الحلم البرتغالى بتكوين إمبراطورية عبر قارة أفريقيا بسبب تهديد سيسيل رودس " البريطانى المتجه إلى الشمال من جنوب أفريقيا وتكوين روديسيا الجنوبية والشمالية على جانبى نهر الزمبيزى. ولقد أدت الحروب التى قامت بين البوير والإنجليز والتى انتهت فى عام ١٩٠٢ إلى تكوين ولايات جنوب أفريقيا تحت الإدارة البريطانية وأخيراً اتحدت هذه الولايات فى دولة واحدة هى اتحاد جنوب أفريقيا وذلك عام ١٩١١ .

ويمكن أن نشير هنا إلى الخطوط العريضة بالنسبة لتاريخ تحديد الحدود الاستعمارية فى أفريقيا . إذ أن. الحدود رسمت على عجل فى

المؤتمر الأوربى الذى انعقد فى نهاية القرن التاسع عشر (٨٤ /١٨٨٥) وكانت هذه الحدود فى الواقع تُعبر عن الحدود الموقتة للاحتلال العسكرى الذى كان موجوداً فى ذلك الوقت ، كما كان الحال فى نيجيريا ، أو كانت تعبر عن جهود المستكشفين ومندوبى الوكالات المختلفة، كشركة الهند الشرقية البريطانية ، الذين توغلوا فى القارة وأقنعوا الزعماء المحليين على توقيع معاهدات بمقتضاها تخضع المناطق التابعة لهولاء الزعماء للقوى الأوربية التى كانت وراء هؤلاء المستكشفين والمندوبين ، وقد ظهر هذا واضحاً فى نياسالاند (مالاوى – الآن) وشرق آفريقيا . وكانت أطماع ألمانيا تمتد فى المنطقة التى تمتد من جهة الشمال حتى نهر تانا فى شرق أفريقيا ، وكان ذلك يرجع جزئيا إلى جهود : كارل بيترز " الذى كان يعمل كمندوب للحكومة الألمانية، ورغم معارضة كل من كيرك وجونستون البريطانيان وغيرهما لهذه الأطماع ، وكان جونستون قد أرسل إلى شرق إفريقيا كرئيس لبعثة التاريخ الطبيعى وحصل على امتياز من زعيم محلى تافيتا Taveta فى شرق أفريقيا ، وكان هذا الامتياز هو الدليل الوحيد الواضح الذى يدعم مزاعم بريطانيا فى الظهير الداخلي .

ومن الواضح أن الجزء الأعظم من الحدود السياسية فى أفريقيا "حدود اصطناعية " وموضوعة على أساس فلكى أو رياضى . ويُعتبر هذا المظهر من مظاهر الأقطار التى أنشئت حديثاً . ومن أمثلة ذلك الحدود الموجودة بين الولايات المتحدة وكندا أو الحدود بين ولايات استراليا. وتعكس هذه الحدود الاصطناعية فى أفريقيا الجهل بجغرافية أعماق القارة كما تعكس الاحتلال السريع من جانب القوى الاستعمارية للأجزاء الداخلية من أفريقيا وذلك بقصد الاستئثار بأكبر قدر ممكن من المطامع التي كانت تحاول هذه القوى الوصول إلى تحقيقها . كما أن المعلومات المتعلقة بتوزيع

موارد الثروة والسكان كانت ضئيلة فى ذلك الوقت ، ولذلك فقد رسمت عديد من الحدود عبر مناطق ذات إمكانات طبيعية ضخمة ، كذلك يلاحظ أن الحدود التى وضعت علي أساس التضاريس لا تزيد عن ربع مجموع الحدود الكلية، هذا فى حين أنه إذا ما قورنت بدولة مثل فرنسا نجد أن التضاريس بها هي الأساسى والمعيار الأساسى فى هذه الحدود الفرنسية .

وتوجد مثل هذه الخطوط الفلكية التي تسير مع خطوط الطول والعرض فى تلك المناطق غير المأهولة أو تلك التى تفتقر إلى مظاهر طبيعية واضحة كما هو الحال فى الصحراء الكبرى أو صحراء كلهارى . وقد استخدمت بعض هذه الخطوط الفلكية بالإضافة إلى التضاريس أو عوامل الاستغلال البشرى ومن أمثلة ذلك الحدود بين توجو وغانا، وقد استخدمت المظاهر التضاريسية- الجبال ، والأنهار ، وخطوط تقسيم المياه كحدود على أساس أنه كان يمكن التعرف عليها بسهولة . وبالإضافة إلى ذلك فإن خطوط تقسيم المياه غالباً ما استخدمت فى هذا الصدد، حيث أن كشوف القرن التاسع حاولت أن تحل مشكلات التصريف المائى الهامة فى القارة الأفريقية وفى نهاية القرن التاسع عشر كانت مشكلة التصريف المائى لكل من النيل والنيجر وكانت من المشكلات الصعبة ، قد حُلّت بقدر كبير فى هذا الوقت .

كما أنه من الملاحظ أن عديداً من الحدود النهرية تعكس رغبة القوى الاستعمارية أن تكون على اتصال مباشر بنهر ملاحى ، ومن أمثلة ذلك الشريحة الضيقة التى أطلق عليها إصبع كابريفى " التى كانت تصل بين جنوب أفريقيا الألمانية (سابقا - نامبيا الآن) مع نهر الزمبيرى . كما أن دولة الكنغو الحرة كانت على اتصال بالمحيط الأطلنطى عن طريق مصب الكنغو برقبه ضئيلة للغاية ،، ومن هنا فإن أنجولا آنفصلت عن إسفين

كابندا الذى يقع إلى الشمال من مصب نهر الكنغو ، وقد توصلت بلجيكا إلى هذه (الرقبة) التى تطل بها على المحيط الأطلنطى بعد مقاوضات ومساومات متبادلة بينهما وبين البرتغال، وفى النهاية تنازلت بلجيكا عن منطقة تصل مساحتها ٣٠٠٠ كم٢ من جنوب غرب الكنغو فى نظير مساحة لاتزيد عن ٣ كم٢ وهى التى تمثل مصب نهر الكنغو على المحيط الأطلنطى، ولكنها كانت ذات أهمية قصوى لأنه بدونها يصبح حوض الكنغو جسماً هامداً دون رقبة يطل بها على المحيط ، الأمر الذى ينعكس على النواحى الاقتصادية والسياسية ، وكما يحدث عادة بالنسبة للدولة الداخلية التى لاتطل على بحار مفتوحة .

ومن الواضح أن الدول الأفريقية فى بداية القرن العشرين لم تَتَمُ نُموا طبيعياً عضوياً من خلال جهود الشعوب الأفريقية نفسها ، وإنما نشأت هذه الدول بأحجامها وأشكالها من لاشىء، كما أن الحدود الخاصة لم تُحَدّد وفقا للمعايير الجغرافية الطبيعية والبشرية وإنما فُرضت على هؤلاء السكان الوطنيين .

وكثيراً ما ظهرت المشكلات بشكل واضح فيما بعد ، حيث تقطع هذه الحدود الاستعمارية حدود الجماعات البشرية والحدود اللُغوية ، وتقسيم هده الجماعات بين إدارات ودول مختلفة ويظهر هذه التناقض واضحا فى منطقة غرب أفريقيا حيث تتعامد هذه الحدود السياسية علي حدود النطاقات الطبيعية التى تسير من الغرب إلى الشر ق سواء نطاقات المناخ أو النبات الطبيعى أو مناطق السكان ، حيث نجد أن حدود نيجيريا، داهومى ، توجو ، وغانا قد ظهرت فى مساحة شريحية ساحلية ضيقة لاتزيد إلا قليلاً عن مائة ميل فى الاتساع، وهناك أمثلة أخرى عديدة تتعارض فيها الحدود السياسية مع حدود الجماعات البشرية ، وربما يعتبر

من أكثر الأمثلة وضوحاً وشيوعاً شعب (إيفى) Ewe الذى قسمته الحدود السياسية بين غانا وتوجو . وتحدث حالة مماثلة بين جماعة النجونى Ngoni التى تتقسم بين زمبابوى ومالاوى نتيجه لتحديد الحدود السياسية أو الصومال الذى قسم بين إدارات مختلفة هى : أثيوبيا ، الصومال الفرنسى، والصومال الإنجليزى والصومال الإيطالى وكينيا ، ولذلك نجد أن مشكلة الحدود الصومالية كانت ومازلت من أهم مشكلات الحدود فى القارة الأفريقية كلها ، إذا أن الصومال تطالب بضم جميع الصوماليين فى دولة واحدة .

وقد توارت بعض المشكلات الناجمة عن الحدود الاستعمارية بتأثير السياسات المتباينة التى أدخلتها القوى الاستعمارية المختلفة إلى القارة والتى حاولت إقامة وحدات اقتصادية وسياسية قابلة للحياة فى الممتلكات التى كانت تابعة لها . فقد تطورت أقطار مثل نيجيريا والسنغال وغانا إلى وحدات مستقلة ، ونتيجة للكبرياء الوطنى الذى ظهر حديثاً بعد الاستقلال صممت هذه الوحدات السياسية على منع إجراء أى تغيير فى حدودها السياسية. هذا فى حين حدث العكس فى شرق أفريقياحيث سار الاتجاه واضحاً في أقطار هذه المنطقة نحو اتحاد تجمعه خدمات مشتركة أو سوق مشتركة يمكن أن ينتهى فى النهاية إلى كيان سياسى أكبر. كذلك حدث اتحاد قصير الأمد بين روديسيا (الشمالية والجنوبية) ونياسالاند (مالاوي الآن)، ولكن هذا الاتحاد كان ذو طالع سئ فانهار بعد فترة قصيرة من قيامه ، وكذلك حدثت مشكلات فى شرق أفريقيا أطاحت بالأمل المرتقب .

وفى بعض المناطق لوحظ تأثير حاله الحروب أو غزوات الرقيق، وقد أدت هذه الظروف إلى خلل فى التركيب السكانى لبعض الجماعات الذين فقدوا فى هذه الحالة شخصياتهم الأصلية أو تسربوا إلى المناطق الوعرة

أو الغـابات الكثـيفـة. ونلاحظ أنه فى مـوانى القطاع الأوسط من نيـجيـريا توجد بقـايا جمـاعـات أرغمـت على ترك أوطانهـا الأصليـة ، وقـد جمـدت الحدود الاستعمـارية التى وضعت هذه التحركات البشـرية على نطاق القارة كلها . وفى بعض الحالات راعت الاتفاقات رغبة الزعماء الوطنيين الأقوياء مثل الزعيم موشيشى Mosheshe فى باسوتولاند بينما نجد جماعات أخرى أحـتُـويَّت دون خـسـارة فى الوطن أو النـاس مـثل مـنطقـة الهـوسـا أو أرض باروتسَى B arotse L and كذلك كان لنفـوذ القـــبائل تأثير واضحاً على رسم الحـدود حيث انتشرت نفـــوذ قبلية (بوجندا) على أوغندا كلها نتيجة لتنظيـمها السياسى القوى فى ذلك الوقت، وكذلك نجـد أن الحدود كانت تسير مع اتجاهات كل قوة من القوة المسيطرة، فمثلاً بالنسبة للصومال تجد أن الحدود بين الصومال الفـرنسى والبـريطانـى كانت القبـائل الصومـالية تعبرها لرعى الحيوانات وموارد مائهم بسبب موقف أثيوبيا المتعنت فى هذا المجال . ومن هنا نشأت مشاكل الحدود التى انعكست آثارها على النواحى الاقتصادية والسياسية كما سبق أن أشرنا، ومن آوضح الأمثلة على مشكلة (الأوجادين) أو الصومال الغربى بين أثيوبيا والصومال .

وكانت لكل من القوى الاستعمارية سياستها التى سارت عليها فى تصريف الأمور فى مستعمراتها التابعة لها . حيث كانت بريطانيا تتبع أسلوب " الحكم غير المباشر " فى معظم الأجزاء التى سيطرت عليها . سواء فى ا لشرق أو غرب أفريقيا، وهى بهذا كانت تُوكل للزعماء المحليين تصريف الأمور العادية ، هذا فى حين أنها كانت تهتم بالسياسية الخارجية والاقتصادية العامة ، وكانت تتبع فى هذا السبيل ضم العناصر الوطنية والزعماء المحليين واستيعابهم فى الجهاز الإدارى .

أما السياسية الفرنسية فكانت تقوم على طمس معالم الشخصية الأفريقية " والحكم المباشر " وذلك عن طريق أن تكون الإدارة فرنسية

خـالصـة ، كمـا كانت تمارس ما سمُى بسيـاسـة " الاستيعاب أو التشرب " As-simulation وذلك بمحاولة امتصاص الثقافة الأفـريقية وفرض ثقافة فـرنسية بدلاً منها وكذلك كانت تتدخل الإدارة الفـرنسية فى شتى المجالات ، ومن هنا كانت كثيراً مـا تقابل هذه السيـاسة بالعنف المتبـادل بين الطرفين الاستعـمارى والوطنى . أمـا السيـاسـة البلجيكيـة فقد تركزت على النواحى الاقتـصـادية حيث وجدت أن المناطق التى تخضع لهـا وهى " الكنغو " الديمقـراطى " الآن" مساحـة شاسعة وظروفها الطبيعية لا تشجع إدارتهـا من جانب بلجيكا ولذلك فقد فضلت بلجيكا أن تهتم بالنواحى الاقتصـادية أولاً ثم تترك الحكم المحلى للزعمـاء المحليين خصوصـاً وأنها وجدت أن منطقة كانتجا «شـاباً الآن» على وجه الخصوص تضم ثروات معدنيـة غنية. كمـا قامت الشركات أيضـاً بزراعة مساحات واسعة من الغابة بالمحصولات النقدية.

أما السيـاسة البـرتغالية فقد سارت فى نفس الطريق الـذى سارت فية فـرنسـا وحـاولت أن تـضـم مسـتـعـمـراتهـا فى أفـريقيـا إلى الدولة الأم ، وألا تجعل للأفـريقيين أى دور فى الحكم هـذا بجانب اهتمـامهـا بالطبع بالنواحى الاقتصادية .

كـذلك نجـد أنـه بعـد أن دخل اتحـاد جنوب أفـريقـيـا ضـمن الـسـيطرة البـريطانيـة بدأت سيـاسـة التفـرقة العنصـرية من جانب البيض ضـد السـود والملونـين . فـالبـيض يتكونون من الهـولنديين الذين كـانوا من أول العناصـر التى اسـتـقـرت فى هـذه المنطقـة وقـد اختلط بعـضـهم بالسكان المحليين وسـيطروا على مناطق واسـعـة (البوير) ثم جـاء بعـد ذلك الإنجليـز فـبـدأت حرب البوير بينهما .

كذلك جـاءت عناصـر آسـيوية من الهند وباكسـتـان واختلطوا بالسكان المحليين ومن هنا نشأت ثلاثة عناصر رئيسية هي :

١ - البيض من أصل إنجيلزى وهولندى.

٢ - الملونون من أصل افريقى وأجنبى (آسيوى).

٣ - السود الإفريقيون الذين يكونون العناصر الأصلية من السكان (الزنوج).

وبدأت سياسة التفرقة العنصرية تمارس ضد الملونيمين والسود من جانب العناصر البيضاء رغم أن هذه العناصر الأخيرة لا يزيد عددها على خمسة ملايين في كمقابل حوالى ٣٠ مليون أسود وملون . وأصبحت سياسة رسمية من جانب الدولة خصوصاً بعد إعلان جمهورية جنوب أفريقيا عام ١٩٦١ ، حيث خصصت مناطق للسود والملونين ومرافق معينة على أساس أنه ينبغى أن يسير كل عنصر فى طريق مستقل عن الآخر ، هذا بعد أن سيطر البيض على أجود المناطق وأكثرها ملاءمة للاستقرار البشرى والإنتاج الاقتصادى.

أفريقيا المستقلة :

سبق أن أشرنا أن بداية الاستعمار فى أفريقيا كانت متأخرة إلى حد كبير عن غيرها من القارات حيث أن الاستعمار وصل إلى آسيا فى القرن ١٥ ، ١٦ ، ١٧ هذا فى حين أنه وصل إلى أفريقيا فى القرن التاسع عشر وكما أشرنا أيضاً فإن الاستعمار بدأ فى أفريقيا بالمرحلة الساحلية خلال الفترة التى كان يركز فيها على آسيا وهى فترة القرون ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ثم بدأ فى الدخول إلى أعماق القارة فى القرن ١٩ ، ٢٠ وكان بداية يركز على استزاف البشر ثم الاستغلال الاقتصادى . ثم أخيراً بعد الاستقلال جاء ما أطلق عليه اسم الاستعمار الجديد وهو السيطرة الاقتصادية والسياسية والثقافية بحيث تصبح هذه الدول المستقلة وكأنها لم تستقل وإنما تصبح معتمدة تماماً على الدول المستمعرة (المتروبوليتيانية).

ورغم التأخر فى استعمار القارة إلا أن هذا الاستعمار عندما بدأ فيها بدأ بداية كاسحة فى أواخر القرن ١٩ وأوائل القرن ٢٠ ففى خلال هذه الفترة القصيرة قسمت القارة بين القوى الاستعمارية ، حيث أن المساحة المستقلة من القارة فى عام ١٨٧٥ كانت حوالى ٩٥٪ وما أن جاء القرن العشرين حتى بدأت هذه المساحة تتضاءل بشكل واضح ففى عام ١٩١٠ أصبحت النسبة حوالى ٨٪ فقط من المساحة الكلية للقارة وكانت هذه المساحة هى ليبيريا وأثيوبيا فى حين أن بقية القارة أصبحت مستعمرات خاضعة للقوى الأوربية.

وكما أن الاستعمار فى أفريقيا كان متأخراً ولكنه كان خاطفاً سريعاً فإنه أيضاً لم يستمر فترة طويلة كتلك الفترة التى مكثها فى آسيا أو أمريكا اللاتينية إذ أنه ما إن جاء عام ١٩٦٠ حتى كان الطوفان التحريرى الأفريقى قد بدأ يكتسح أمامه ركائز الاستعمار الأوربى . ففى هذا العام استقلت دول كثيرة داخل القارة وخصوصاً دول غرب أفريقيا ، سواء أفريقيا الاستوائية الفرنسية (موريتانيا + مالى + فولتا العليا بوركينا فاسو الآن + ساحل العاج + توجو + داهومى بنين الآن + الكمرون + الصومال + جابون + الكنغو (برازا + ملاجاش + الكنغو ليوبولدفيل الديموقراطى الآن + أفريقيا الوسطى + تشاد + النيجر) . أى أكثر من دولة كل شهر من هذا العام لذلك يعتبر هذا العام عام التحرير الإفريقى.

وكانت كل من غينيا (١٩٥٨)، والمغرب (١٩٥٦) وتونس (١٩٥٦) وليبيا (١٩٥١) ، مصر (١٩٥٦-١٩٢٢)، السودان (١٩٥٦)، أثيوبيا وليبيريا (١٨٤٧) وغانا (١٩٥٧)، قد حصلت على الاستقلال ثم تبع ذلك انتشار موجة الاستقلال فى جميع أنحاء القارة حيث استقلت فى عام ١٩٦١ سيراليون وتنجانيقا وجنوب أفريقيا وفى عام ١٩٦٢ استقلت أوغندا ورواندا، بورندى

والجزائر وفى عام ١٩٦٣ استقلت كينيا وزنجبار وفى عام ١٩٦٤ استقلت زامبيا ومالاوى وفى عام ١٩٦٥ استقلت غمبيا (البريطانية سابقاً) وفى عام ١٩٦٨ استقلت سوازى لاند وغينيا الاستوائية (سابقاً ريومونى) وفي عام ١٩٧٣ استقلت غينيا بيساو (البرتغالية سابقاً) بعد أن حررت حركة التحرير الوطنية أربعة أخماس المساحة ثم اعترفت الأمم المتحدة بهذا الاستقلال .

وفى عام ١٩٧٤ ظلت حركة التحرير الوطنية الأفريقية فى كل من أنجولا وموزمبيق على أشدها حتى بدأت الحكومة البرتغالية الجديدة التى أطاحت بحكم «سالا زار» الديكتاتورى » فى تفهم الأوضاع الجديدة وبدأت فى المفاوضات مع الحركة الوطنية واتفقا على تسليم السلطة للوطنيين فى منتصف عام ١٩٧٥ بعد تكوين حكومة انتقالية ، وكان هذا الإذعان من جانب الحكومة البرتغالية اعترافاً بالأمر الواقع خصوصاً بعد أن كبدت حركة الثوار الجيش البرتغالى نفقات باهظة وأرواح كثيرة . وإذ كانت حكومة لشبونة تدفع سنوياً ٦٥٠ مليون جنيه إسترلينى كتكاليف لوجود ١٥٠ ألف جندى برتغالى.

وبذلك تكون قارة أفريقيا قد حصلت على استقلالها الكامل فى غضون حوالى عقدين من الزمان ولم يتبق فى القارة سوى جنوب غرب أفريقيا (ناميبيا) الخاضعة لجمهورية جنوب أفريقيا بدون استقلال ولكنها لحقت بالركب أخيراً واستقلت أيضاً ، ورغم أن أسبانيا قد انسحبت من منطقة الصحراء المغربية (ريودورو = نهر الذهب) إلا أن هذا الانسحاب دون وجود اتفاق مسبق خلق مشكلة كبيرة أمام الدول الأفريقية ، إذ بعد الانسحاب سارعت المغرب بالسيطرة على الجزء الأعظم من هذه المنطقة الصحراوية ، تاركة جزءاً منها لموريتانيا . التي تخلت عنه بعد ذلك حيث تذكر المغرب أن الإرث التاريخى يخول لها أن تسيطر على هذه المنطقة ،

ولكن سرعان ما ظهر عنصر جديد وهم سكان الصحراء أنفسهم الذين طالبوا بالاستقلال التام ورفضوا سيطرة المغرب على المنطقة ، وقد ساعدهم على ذلك الجزائر بسبب الخلاف القديم مع المغرب على مشكلة الحدود بينهما (تندوف) ومدتهم بالسلاح ، وتطورت القضية بين المغرب من جانب «والبوليساريو) الجبهة الوطنية لمنطقة الصحراء) حتى مرحلة الحرب الشاملة بينهما ، وعرضت القضية على محكمة العدل الدولية ، وكذلك منظمة الوحدة الأفريقية لدرجة أن حوالى ثلاثين دولة أفريقية اعترفت بمنظمة البوليساريو الأمر الذى دفع المغرب للانسحاب من مؤتمر القمة الذى عقد فى أديس أبابا فى نوفمبر ١٩٨٤ . وانسحبت معها أيضاً زائير من المؤتمر ، ويعتبر هذا انتصاراً سياسياً للبوليساريو ، ومعها الجزائر . وإن كانت المنظمة قد تجاوزت هذا الموقف فى مؤتمر القمة وسارعت ببحث الموضوعات الأساسية الخطيرة التى تجابه القارة وأهمها قضية الجفاف والتخلف الاقتصادى فى القارة.

وقد ظهرت مشكلة التفرقة العنصرية فى روديسيا الجنوبية سابقاً (زمبابوى) التى كانت مستعمرة بريطانيا ثم استقلت من جانب واحد عن بريطانيا أى أن البيض هم الذين أعلنوا استقلالها واستحوذوا على السلطة لصالحهم دون الأغلبية الأفريقية ، ولكن حركة التحرير الأفريقى في (زمبابوى - ممثلة فى حزبى زانو وزابو) قامت لتناضل ضد هذه الحكومة العنصرية مطالبين بنصيبهم فى السلطة خصوصاً وأن عدد الأوربيين البيض هنا كان لا يزيد عن ٣٠٠ ألف شخص فى مقابل حوالى ٥ مليون أفريقى فى ذلك الوقت ، ولكن بوادر استقلال كل من موزمبيق وأنجولا أقلقت الحكومة العنصرية فى روديسيا وبدأت تفكر من جديد فى التقرب إلى الحركة الوطنية الأفريقية حيث أطلقت فى ديسمبر عام ١٩٧٤ جميع

المعتقلين السياسيين وبدأ الحوار مع الوطنيين وانتهى الأمر باستقلال روديسيا تحت اسم زمبابوى وسيطرة الوطنيين .

ولكن ظلت مشكلة التفرقة العنصرية فى جمهورية جنوب أفريقيا ، وهذه المشكلة أخذت مستوى عالمى من الاستياء وأصبحت الحكومة العنصرية فى هذه الدولة معزولة عن المجتمع الدولى . نتيجة لسياستها العنصرية البغيضة . وقد تراجعت حكومة البيض عن هذه السياسة وأطلقت سراح الزعيم نلسون مانديلا بعد ٢٧ عاماً قضاها في السجن في عام ١٩٩٣ أما مشكلة ناميبيا (جنوب غرب أفريقيا) التى كانت مستعمرة ألمانية سابقة ثم بعد هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية عهد إلى جنوب أفريقيا بالإشراف عليها حتى تصل إلى مستوى يؤهلها للحكم الذاتى ولكن جنوب أفريقيا طمعت فيها وادعت أنها تابعة لها رغم الموقف الدولى الذى يشجب هذه السياسة، وعرضت المشكلة على مستوى الأمم المتحدة ، وشكلت لجان عدة للبت فى هذا الموضوع وجرت مفاوضات بين جنوب أفريقيا وأنجولا لمنح ناميبيا الاستقلال مقابل سحب القوات الكوبية من أنجولا وانتهى الأمر فعلاً باستقلال ناميبيا .

وقد استقل الصومال الفرنسى ، وهو جيب صغير يقع حول ميناء جيبوتى ، وقد تأخر استقلال هذا الإقليم لأسباب خاصة بالخلاف الناشب بين الصومال وأثيوبيا ومطالبة كل منهما بهذا الجيب ، وكذلك لتعدد العناصر الموجودة فى هذا الجيب الأمر الذى لم يجعل الفكرة الوطنية تتبلور بشكل واضح إلا أخيرا وقد سميت جمهورية جيبوتى العربية الإسلامية وأصبحت عضواً فى جامعة الدول العربية.

الخلاصة

ويتضح من العرض السابق أن جبهة الاستعمار تراجعت ناحية الجنوب باستمرار بمعنى أن حركة التحرير كانت قادمة من الشمال ، كذلك يلاحظ أن الاستعمار الاستيطانى هو الذى تشبث بمواقعه إلى آخر لحظة . رأينا ذلك فى جنوب أفريقيا وناميبيا التى كانت خاضعة للنظام العنصرى فى جنوب أفريقيا . وكما سبق أن أشرنا فإن هذا الاستعمار الاستيطانى كان متركزاً فى المناطق الملائمة من الناحية المناخية سواء أكان ذلك بسبب العامل الفلكى أو بسبب إرتفاع التضاريسى ففى روديسيا كان يعيش كما ذكرنا حوالى ٣٠٠ ألف ، وفى جنوب أفريقيا حوالى ٥ مليون نسمة وفى موزمبيق حوالى ٧٠ ألف ، وفى أنجولا حوالى ١٧٥ ألف ، وفى جنوب غرب أفريقيا (ناميبيا) حوالى ٧٥ ألف .

والواضح أنه منذ عام ١٩٦٥ كان الاستعمار فى أفريقيا على وشك الانتهاء إذ لم يتبق فى هذا الوقت إلا أسافين باستثناء أفريقيا البرتغالية فى أنجولا وموزمبيق والصحراء الأسبانية.

ويتضح أنه بجانب أن التراجع الاستعمارى كان يتقهقر من الشمال إلى الجنوب ، وكان كذلك يتقلص من الداخل نحو الخارج من صلب القارة إلى أطرافها وهوامشها . فكأن مراحل الوثوب إلى القارة هى أيضاً مراحل الوثوب خارج القارة . وبهذه الطريقة انقرضت الإمبراطوريات الكبرى مبكراً مثل بريطانيا وفرنسا فى حين أن الإمبراطوريات الصغرى ظلت تحاول حتى النهاية تتشبث بمواقعها مثل البرتغال ، أسبانيا ، ولكن كان حكم التاريخ أقوى من أى حكم فانهارت قلاعها سريعاً أمام الزحف التحريرى الأفريقى ، وأصبحت أفريقيا الآن حرة مستقلة ، ترفع أعلام النصر السياسى ، وإن كانت تعانى من مشكلات التنمية الاقتصادية التى تمثل التحدى الحقيقى أمام هذه الدول.

وبعد هذا المسار مع الاستعمار وتاريخه استقلت الدول الأفريقية ولكن ظهرت بعد الاستقلال ظاهرات شاذة فى الجغرافيا السياسية للقارة أهمها:

١ - امتلأت القارة بالدول الأصطناعية التى لا تعتمد على أسس جغرافية أو اقتصادية مثل :

غمبيا وغينيا بيساو وغينيا الاستوائية والصومال الفرنسى سابقاً (جيبوتى الآن).

٢ - التفتيت السياسى خصوصاً فى غرب القارة أو البلقنة السياسية حيث الدول القزمية المشار إليها فى (١).

٣ - ضآلة سكان كثير من الوحدات السياسية مع مساحتها الشاسعة مثل ليبيا وتشاد والنيجر ومالى وموريتانيا.

٤ - دول داخلية حبيسة لها مشاكلها الاقتصادية والسياسية مثل : أوغندا، زامبيا ، النيجر ، تشاد ، مالى ، زمبابوى ، أفريقيا الوسطى ، الكنغو الشعبى (براز اقيل) فولتا العليا (بوركينا فاسو) ، رواندا ، بوروندى ، أثيوبيا ، ليسوثو + بتسوانا + سوازى .

٥ - دول أسافين أو جيوب ساحلية ليس لها مقومات الدولة مثل ما جاء فى (١) .

٦ - مشكلة التفرقة العنصرية فى جنوب أفريقيا انتهت منذ عام ١٩٩٤ ولكن جذورها ما زالت باقية.

٧ - مشكلات الحدود بين الدول.

ونتيجة لهذه الظاهرات السياسية غير الطبيعية وجدنا المشكلات السياسية والانقلابات العسكرية المستمرة خصوصاً فى غرب القارة حيث أنه بعد الاستقلال أصبحت هذه الحدود السياسية ذات ولاء قومى من جانب الإفريقيين وبالتالى تكريس هذه الأوضاع الشاذة ، وكان أهم انقلاب

هو ما حدث فى نيجريا فى سنة ١٩٨٤ ثم تتالت بعد ذلك انقلابات كثيرة وحروب أهلية متعددة مازلت قائمة حتي الآن .

ولكن فى نفس الوقت فإن الأفريقيين بدأوا فى التفكير فى إقامة اتحادات أو تجمعات إقليمية لكى يتغلبوا على الصعاب السياسية والاقتصادية التى خلفها الاستعمار ، ففى غرب أفريقيا توالت الاتحادات نجح بعضها وفشل البعض الآخر :

١ – اتحاد مالى بين السودان الفرنسى (مالى الآن) والسنغال عام ١٩٥٩ ولكنه فشل بخروج السنغال .

٢ – دول الوفاق Entete بين فولتا العليا + داهومى + ساحل العاج + النيجر عام ١٩٥٩ بحيث تظل كل دولة فيه محتفظة بشخصيتها الدولية وتتوحد فى النظم السياسية والاقتصادية وتدخل جميعها فى اتحاد جمركى .

٣ – اتحاد جمركى بين جمهوريات أفريقيا الاستوائية الفرنسية (سابقاً) = تشاد + أفريقيا الوسطى + الكنغو (برازا) + جابون عام ١٩٥٩ أيضاً .

٤ – اتحاد فيدرالى بين غانا وغنيا عام ١٩٥٩ تحتفظ كل منهما باستقلالها وكانت ليبريا طرفاً فى هذا الاتحاد فى بدايته ولكنها خرجت منه ، ولكن حلت مالى محلها عام ١٩٦١ . ثم خرجت منه مرة أخرى.

٥ – وأخيراً قامت منظمة التعاون الاقتصادى بين دول غرب أفريقيا تحت اسم إكواس Ecowas.

٦ – قيام تجمع كوميسا لدول وسط وشرق وشمال أفريقيا.

٧ – قيام تجمع الساحل والصحراء .

٨ – أما فى وسط أفريقيا فقد تكون اتحاد بهذا الاسم يضم روديسيا الشمالية والجنوبية ونياسا لاند (مالاوى) فى عام ١٩٥٣ ثم ما لبث أن

انهار فى عام ١٩٦٣ نتيجة لاستحواذ روديسيا الجنوبيا (الأقلية البيضاء) على أهم مزايا الاتحاد.

٩ – وفى شرق أفريقيا حاولت بريطانيا إقامة اتحاد بين أوغندا وتنجانيقا وكينيا وأنشأت لجنة عليا للخدامات المشتركة ورغم المشكلات المختلفة التى طرأت بعد تكوين هذا الاتحاد فقد ظل قائماً على شكل الخدمات المشتركة وأخيراً ظهرت المشكلات التى حدت من نشاطه ثم انهياره.

١٠ – وأخيراً وبعد هذه المحاولات المتعددة تكونت منظمة الوحدة الأفريقية ومقرها أديس أبابا فى مايو عام ١٩٦٣ وتكونت داخلها هيئات تمارس اختصاصها فى سبيل رفعة القارة الأفريقية وتقدمها ، ورغم المشكلات السياسية والاقتصادية التى تجابه هذه المنظمة إلا أنها صامدة واضعة نصب أعينها الاحتفاظ بوحدة القارة مهما كانت المشكلات وأخيراً قام الاتحاد الأفريقى حلفاً لها فى عام ٢٠٠٢ بمبادرة من الجماهيرية الليبية ليخلف المنظمة .

السوق الأفريقية المشتركة :-

لابد أن نشير إلى الاقتراح الذى سبق أن تقدمت به ليبيا لإنشاء ولايات متحدة أفريقية يجمع دول القارة الثلاثة والخمسين فى اتحاد واحد ، وقد بحث هذا الاقتراح بالتفصيل فى مؤتمر القمة الأفريقى فى لومى (يوليو ٢٠٠٠) ووفق عليه وأرسل إلى الدول الأفريقية للمصادقة عليه، وقد وافقت عليه فعلاً أغلبية الدول الأفريقية ومن هنا يعتبر الاتجاه منعطفاً جديداً فى المسار السياسى للقارة الأفريقية فى بداية القرن الحادى والعشرين، وبالتالى فإن القارة الأفريقية تستطيع – إذا ما تم ذلك أن تقف أمام التكتلات الاقتصادية والسياسية العالمية الجديدة التى يمكن أن تكتسح أمامها الكيانات الصغيرة السياسية والاقتصادية فى ظل نظام العولمة.

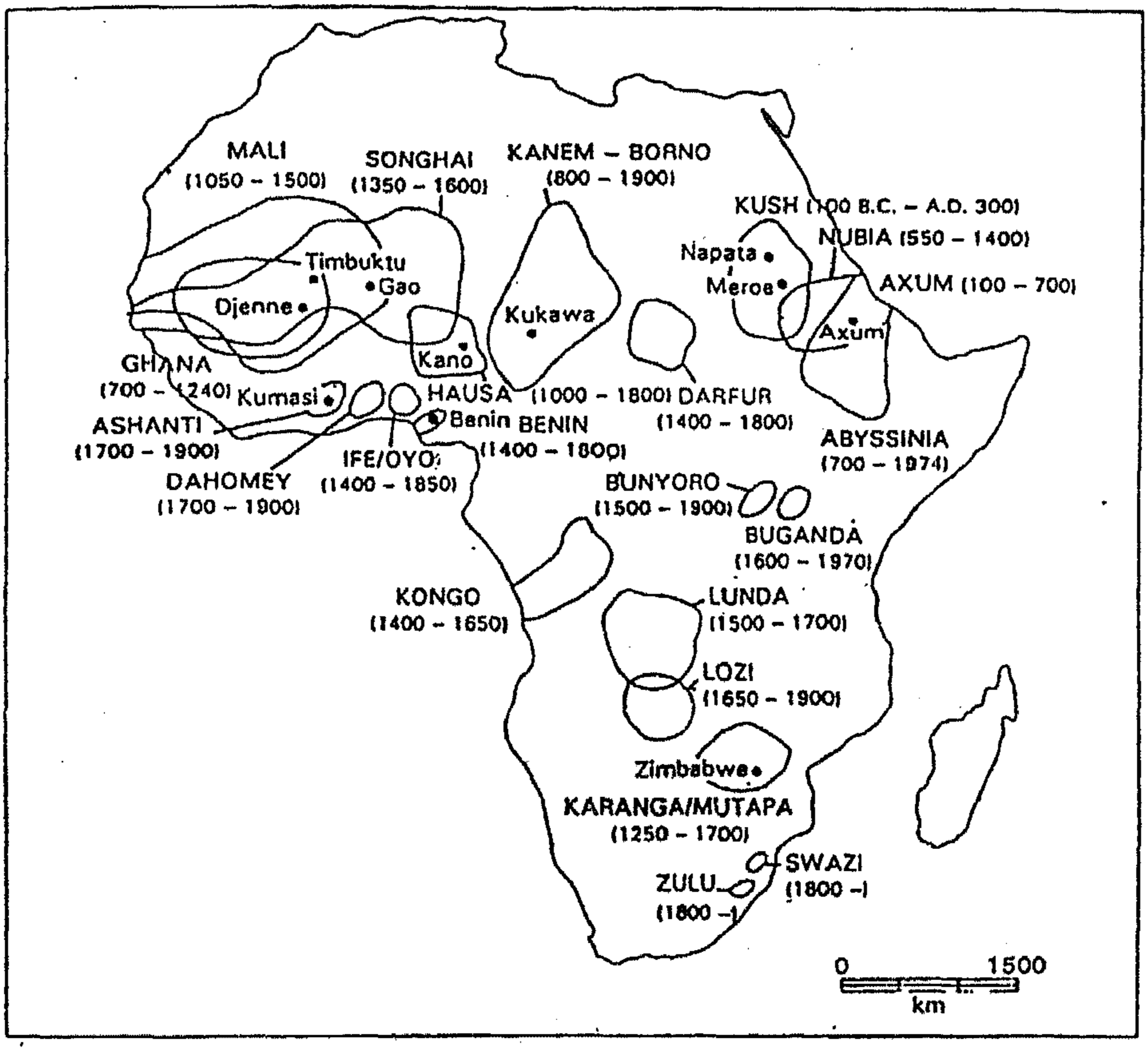

شكل (١) أهم الإمبراطوريات والدول الأفريقية الكبيرة القديمة وفترة وجودها

Major African states and empires. The map shows the names, locations, and approximate dates of existence for the most important precolonial states.

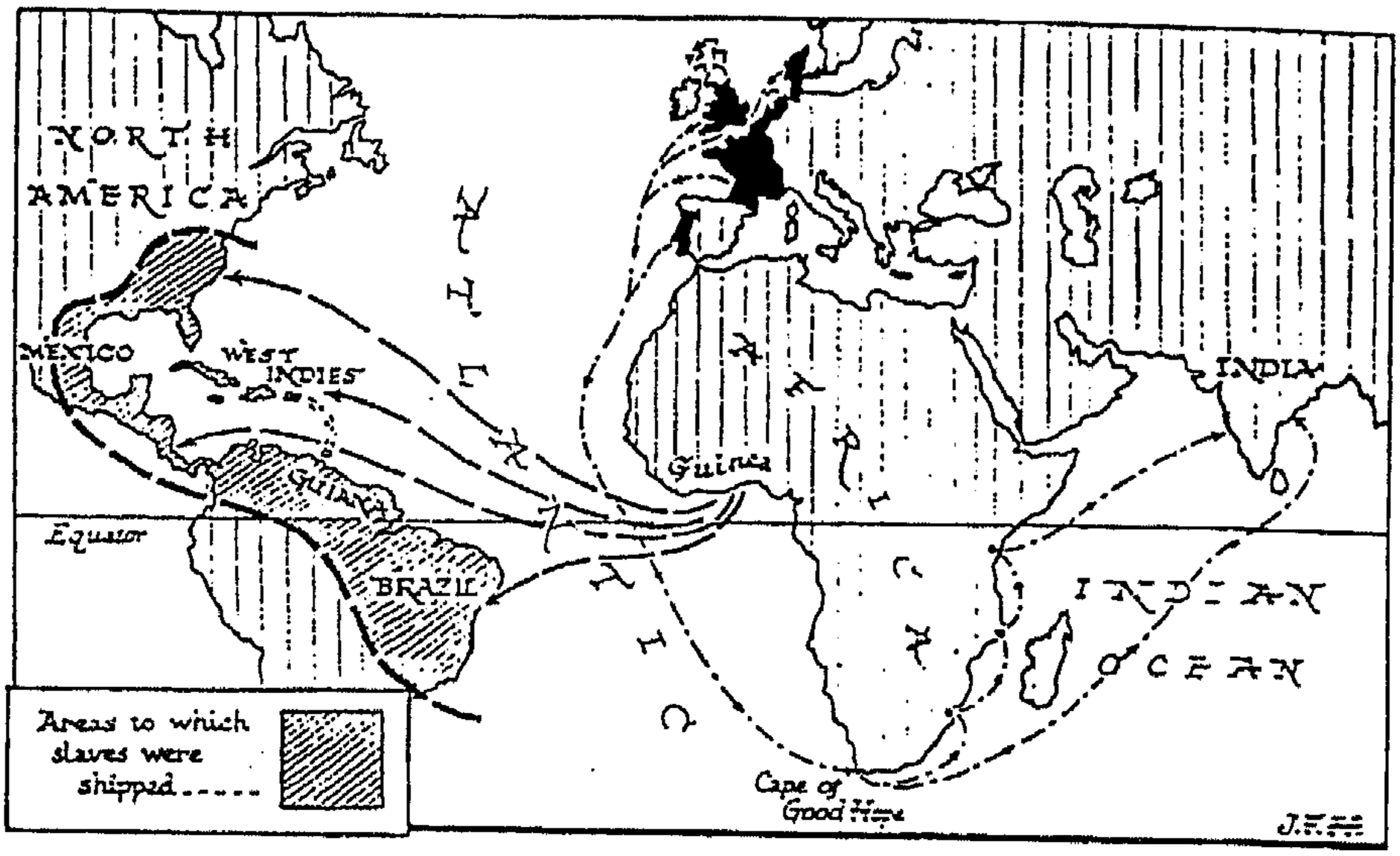

شكل (٢) تجارة الرقيق من القارة

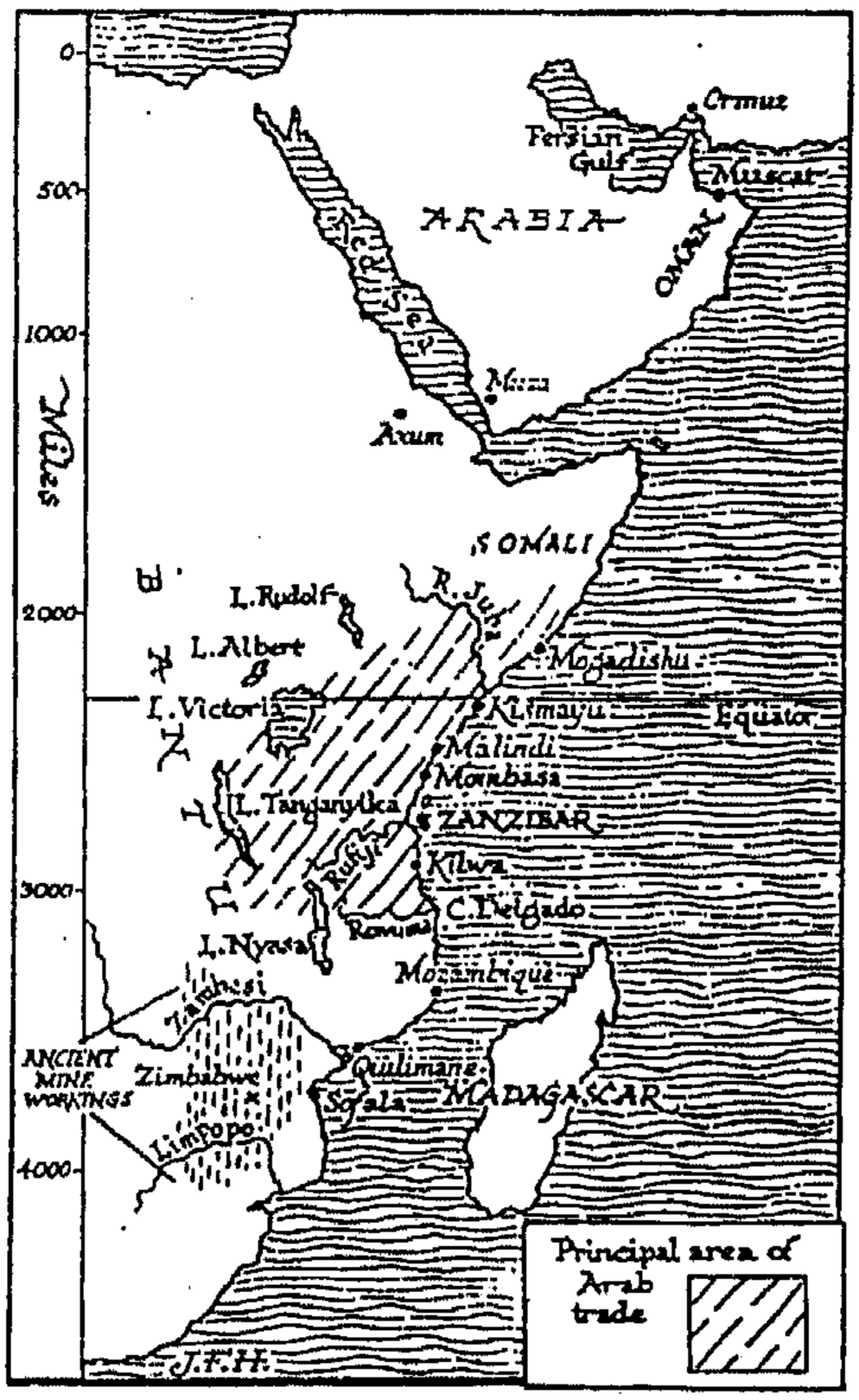

شكل (٣) تجارة العرب
مع شرق أفريقيا

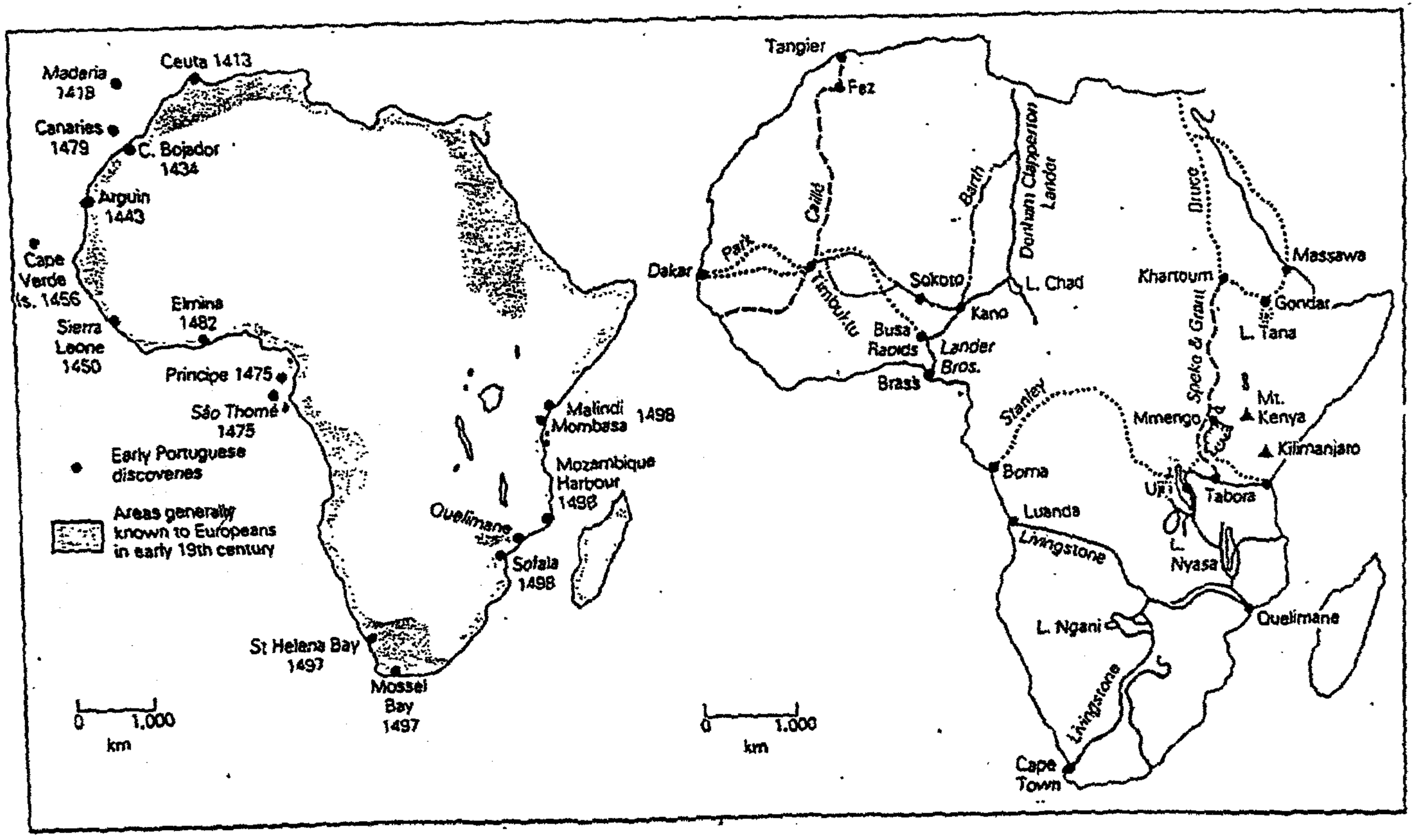

شكل(٤) التغلغل الأوروبى فى أفريقيا عن طريق الكشف الجغرافى African - European penetration

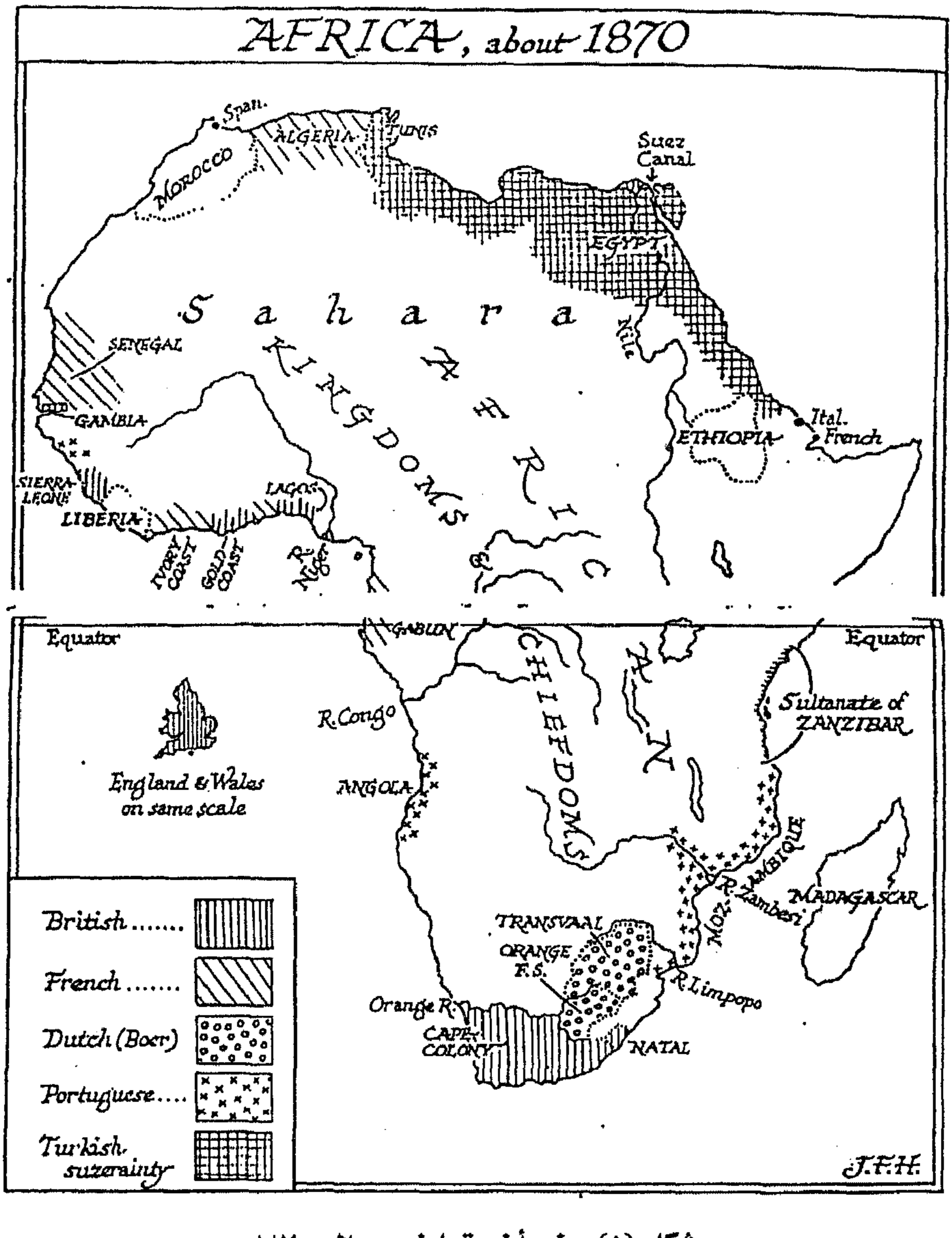

شكل (٥) وضع أفريقيا فى حوالى ١٨٧٠

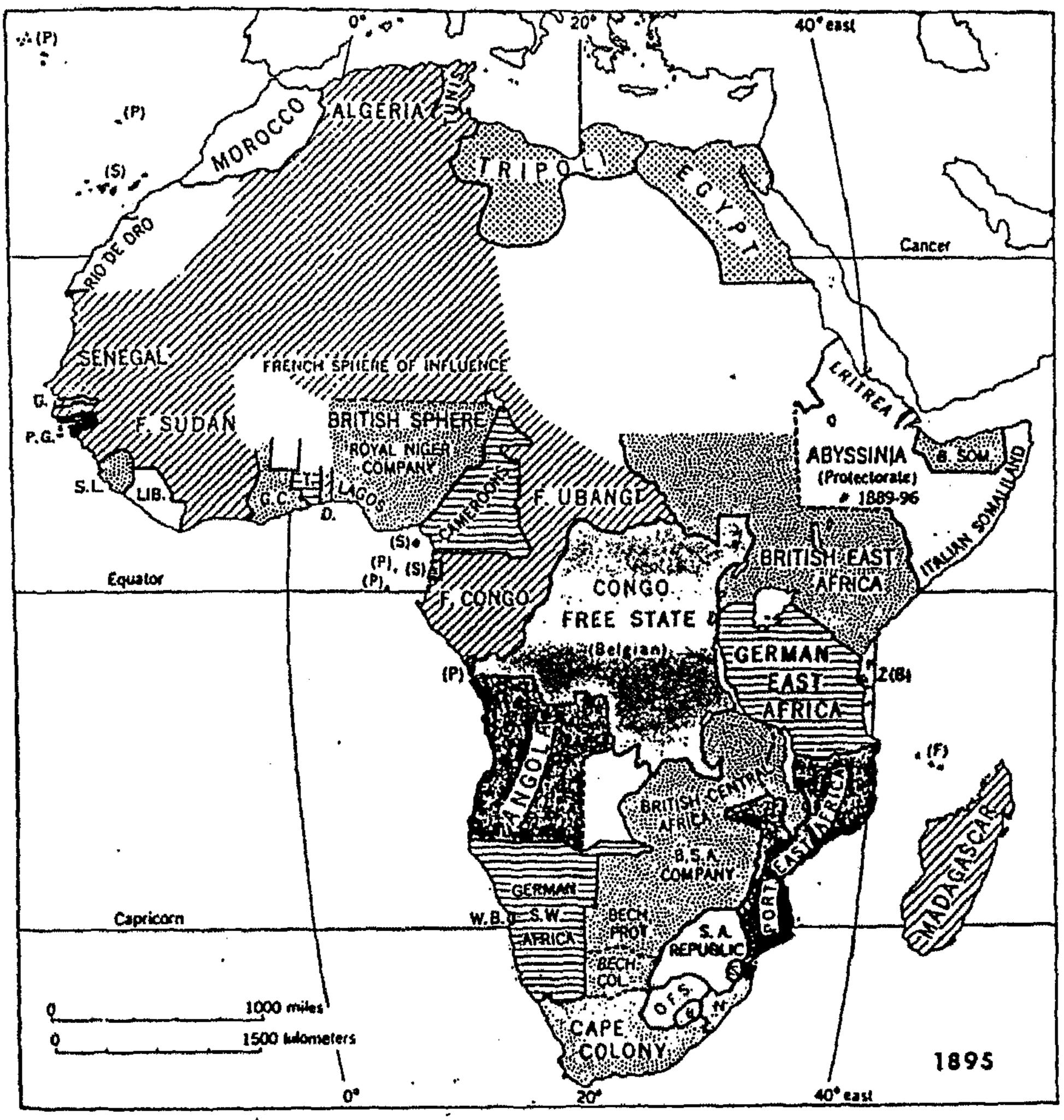

شكل (٦) أفريقيا فى نهاية ١٨٩٥ وتبدو الخريطة مختلفة تماماً عما سبقها حيث تغيرت بشدة خلال عشر سنوات حيث قسمت بين القوى الأوروبية وفقا لمؤتمر برلين (١٨٨٤) وذلك قبل إندلاع الحرب بين بريطانيا والمستوطنين البوير حيث تبدو جمهوريتهم (دولة أورانج الحرة ، وجمهورية جنوب أفريقيا) .

Africa at the end of 1895. This map contrasts very sharply indeed with the preceding ones and indicates that within the short space of ten years from 1885 to 1895, practically the whole of Africa had been partitioned among the leading European powers. 1895 was before the outbreak of the war between the British and the Boer settlers, whose two independent republics, the Orange Free State and the South Africa Republic. are shown unshaded.

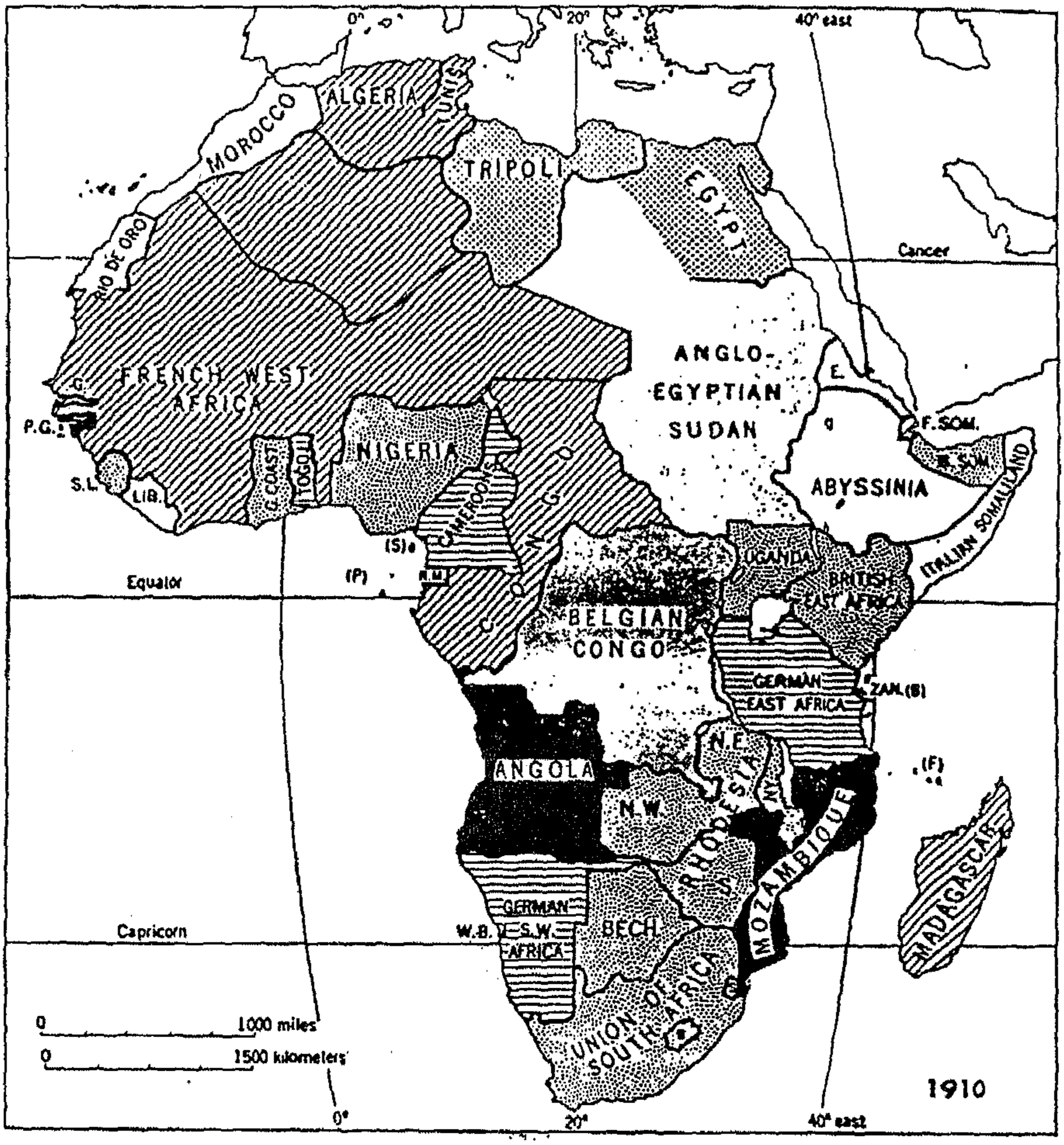

شكل (٧) فى عام ١٩١٠ اتحدت أربع مستعمرات فى جنوب أفريقيا مكونة إتحاد جنوب أفريقيا وألحق الكنغو إلى التاج البلجيكى وأنشىء السودان المصرى- الإنجليزى لمدة عشرة سنوات.

Africa in 1910. This was the year in which the four South African colonies united to form the Union of South Africa. The Congo Free State had been annexed to the Belgian Crown as the Belgian Congo and the Anglo-Egyptian Sudan had been established for more than ten years.

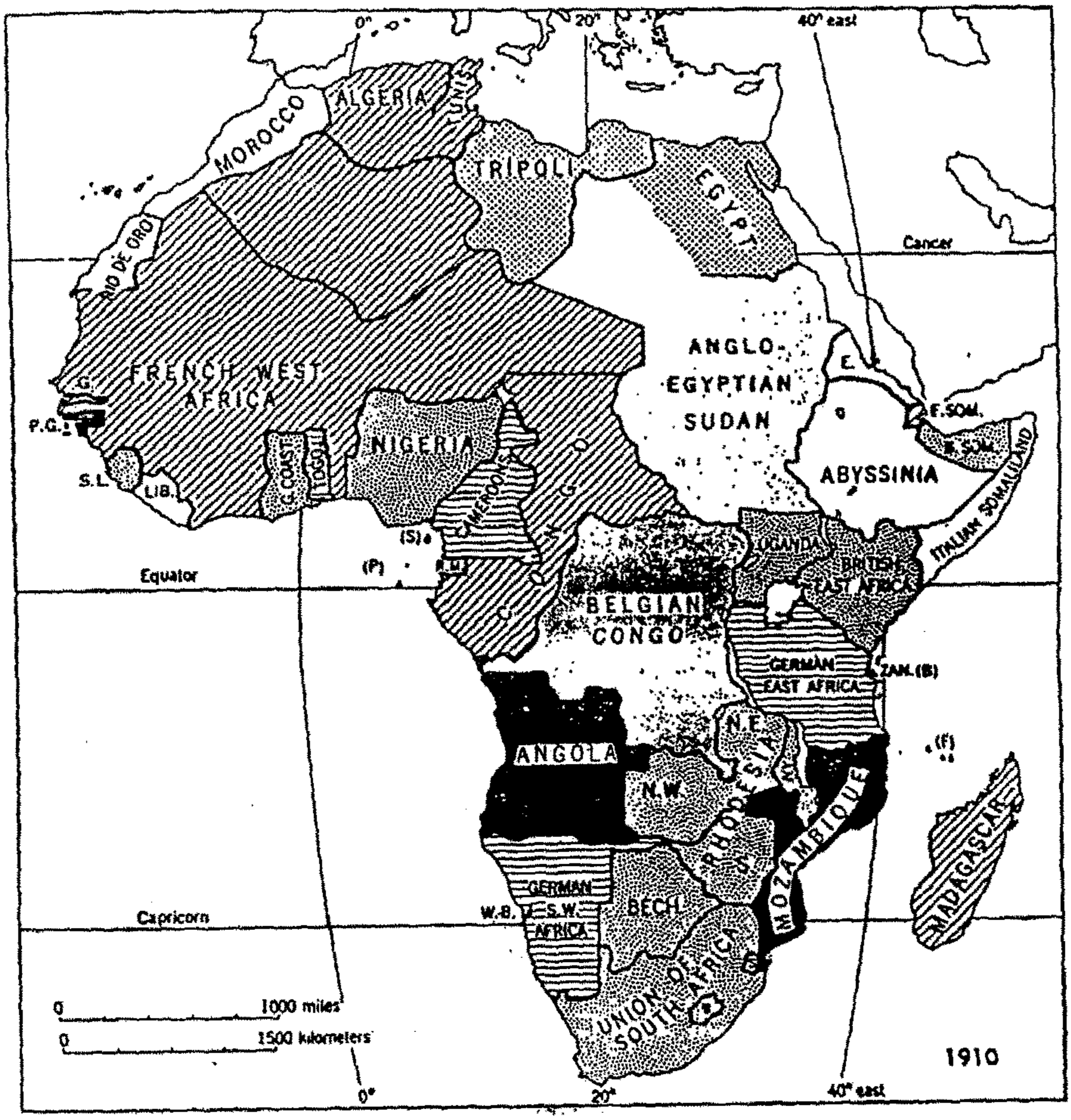

شكل (٨) أفريقيا ٣٩ / ١٩٤٠ مع إندلاع الحرب العالمية الثانية أصبحت إرتريا وإثيوبيا خاضعة لإيطاليا وكذلك الصومال الإيطالى وكذلك ليبيا ـ وكان هناك دولتان فقط مستقلتان هما : مصر + ليبريا بالإضافة إلى إتحاد جنوب أفريقيا .

Africa in 1939-1940. At the outbreak of World War 11 the Italian Empire had come lo include Abyssinia as well as Eritrea and the Somaliland together with the enlarged and rcdefined Libya. Only Iwo countries in the whole of Africa (other than the Union of South Africa) are shown as independent, Egypt and Liberia .

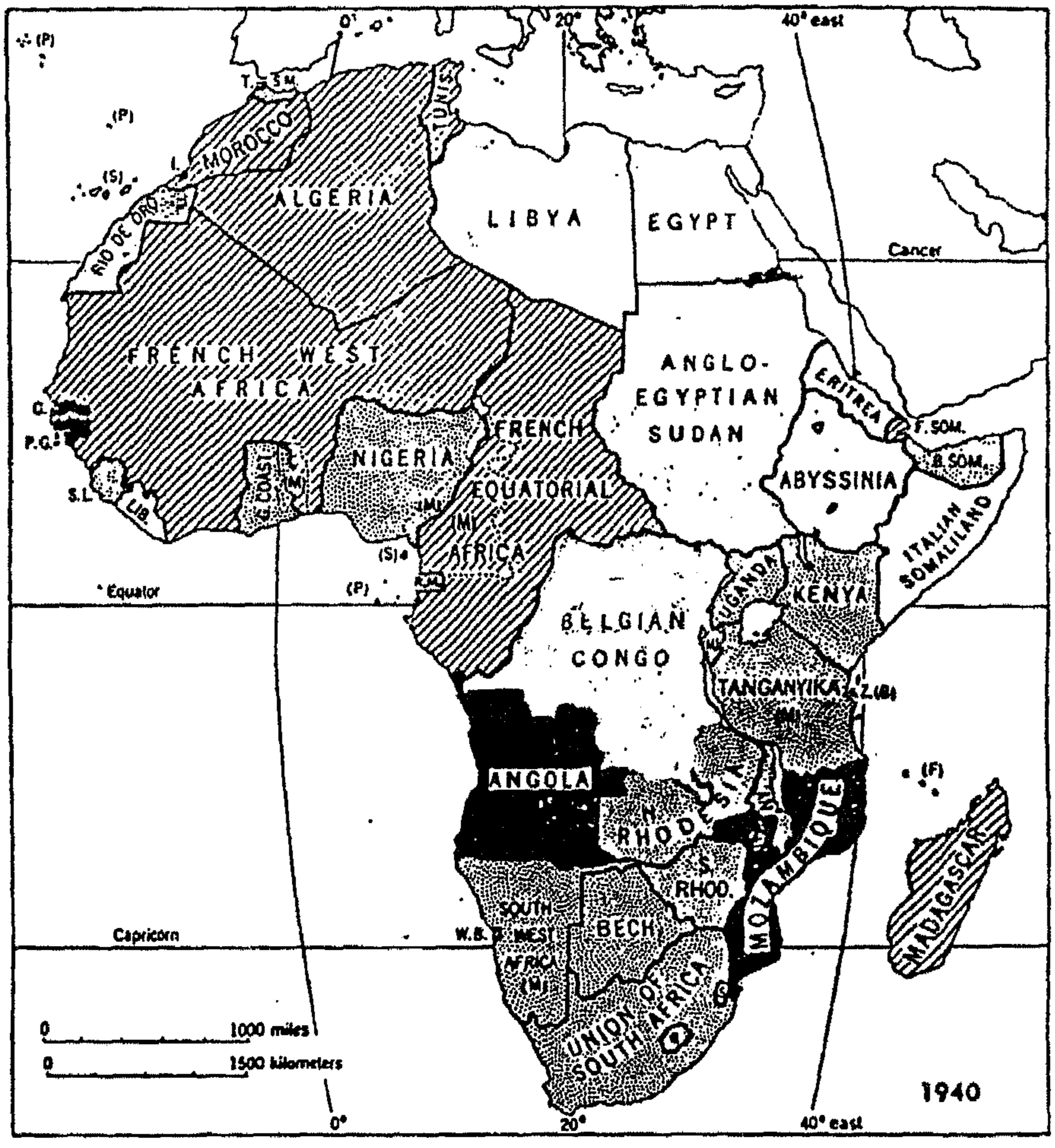

شكل رقم (٩) : الحدود السياسية فى أفريقية

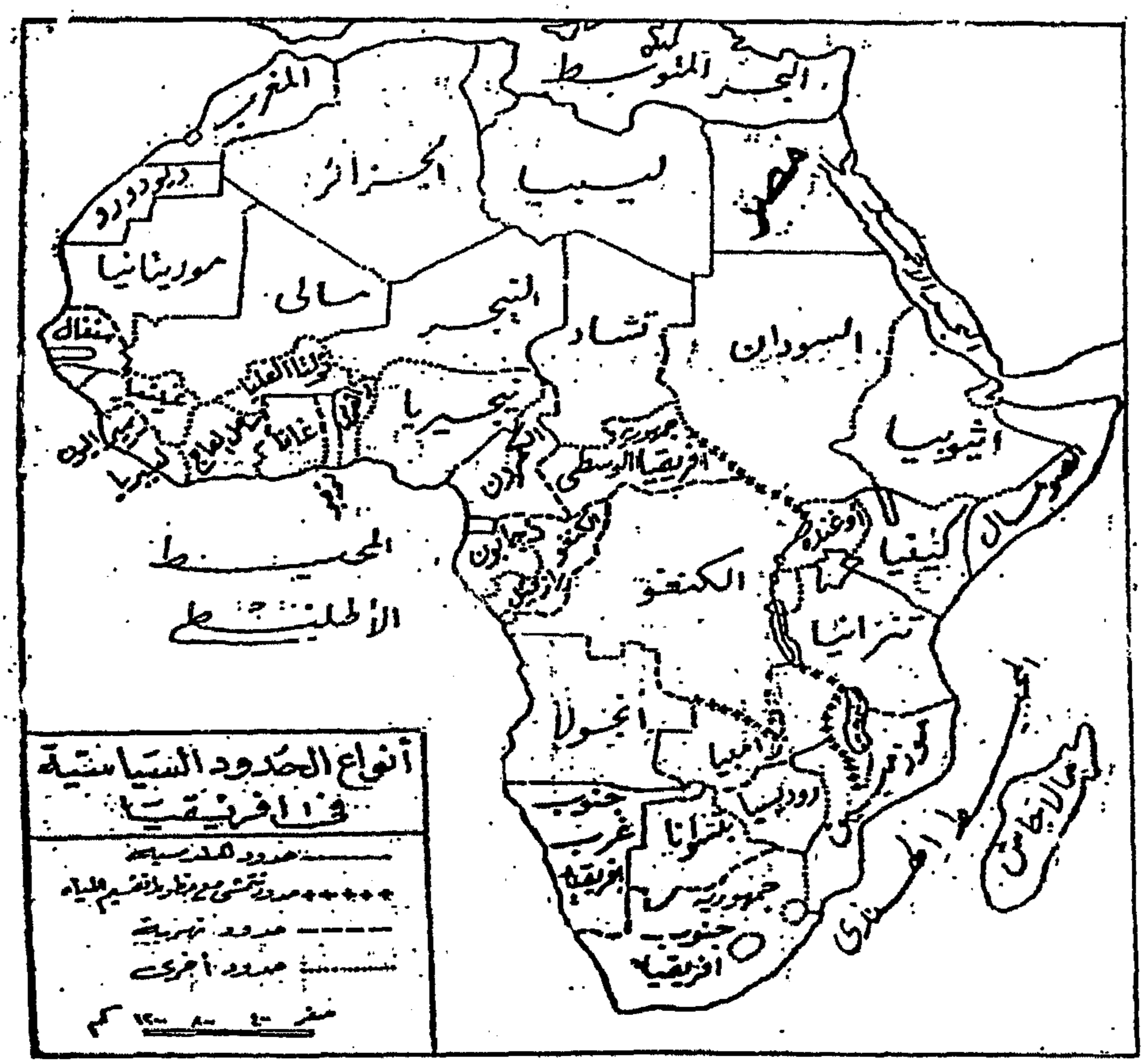

شكل رقم (١٠) : أنواع الحدد السياسية

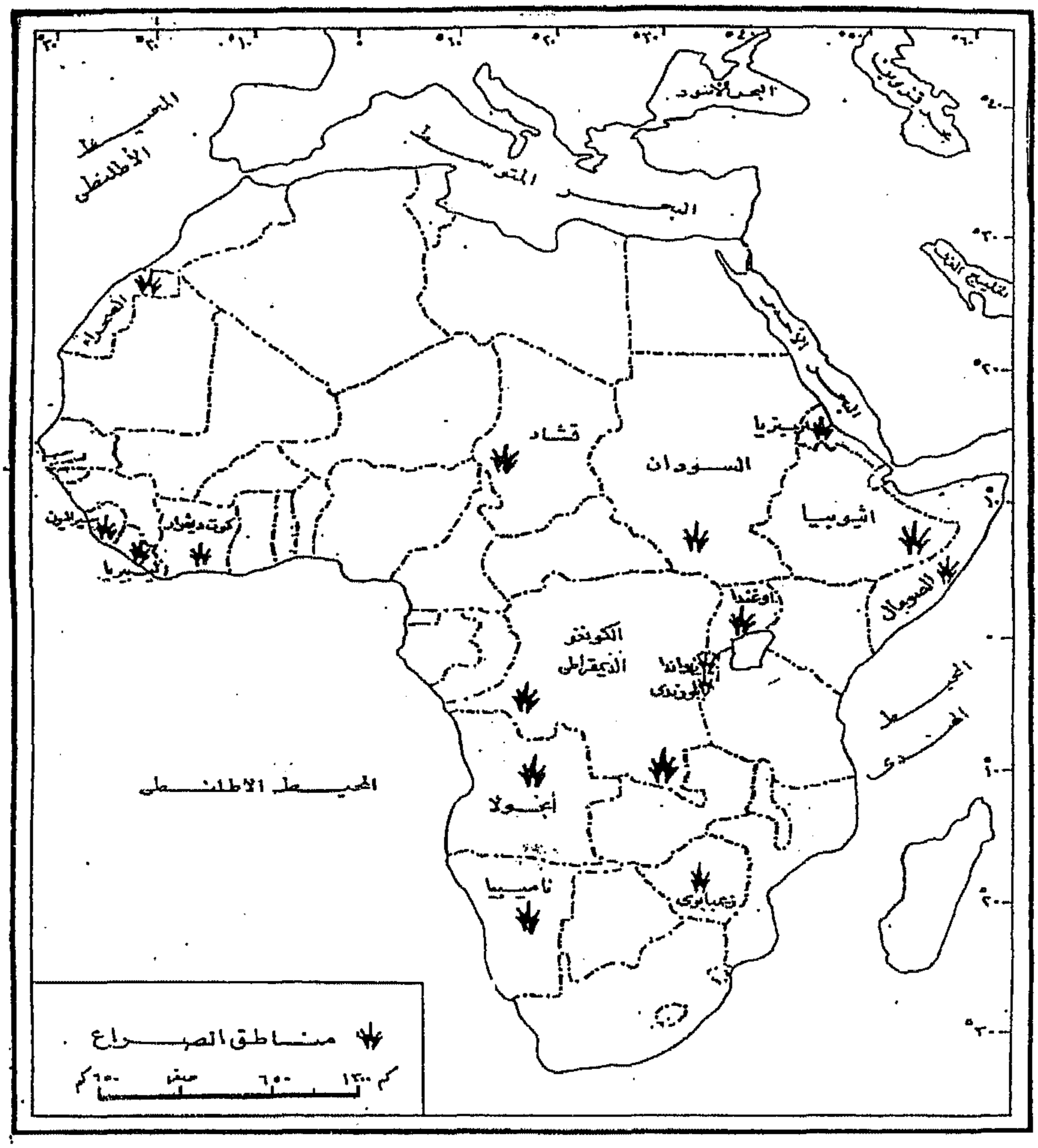

شكل رقم (١١) : مناطق الصراع فى أفريقيا

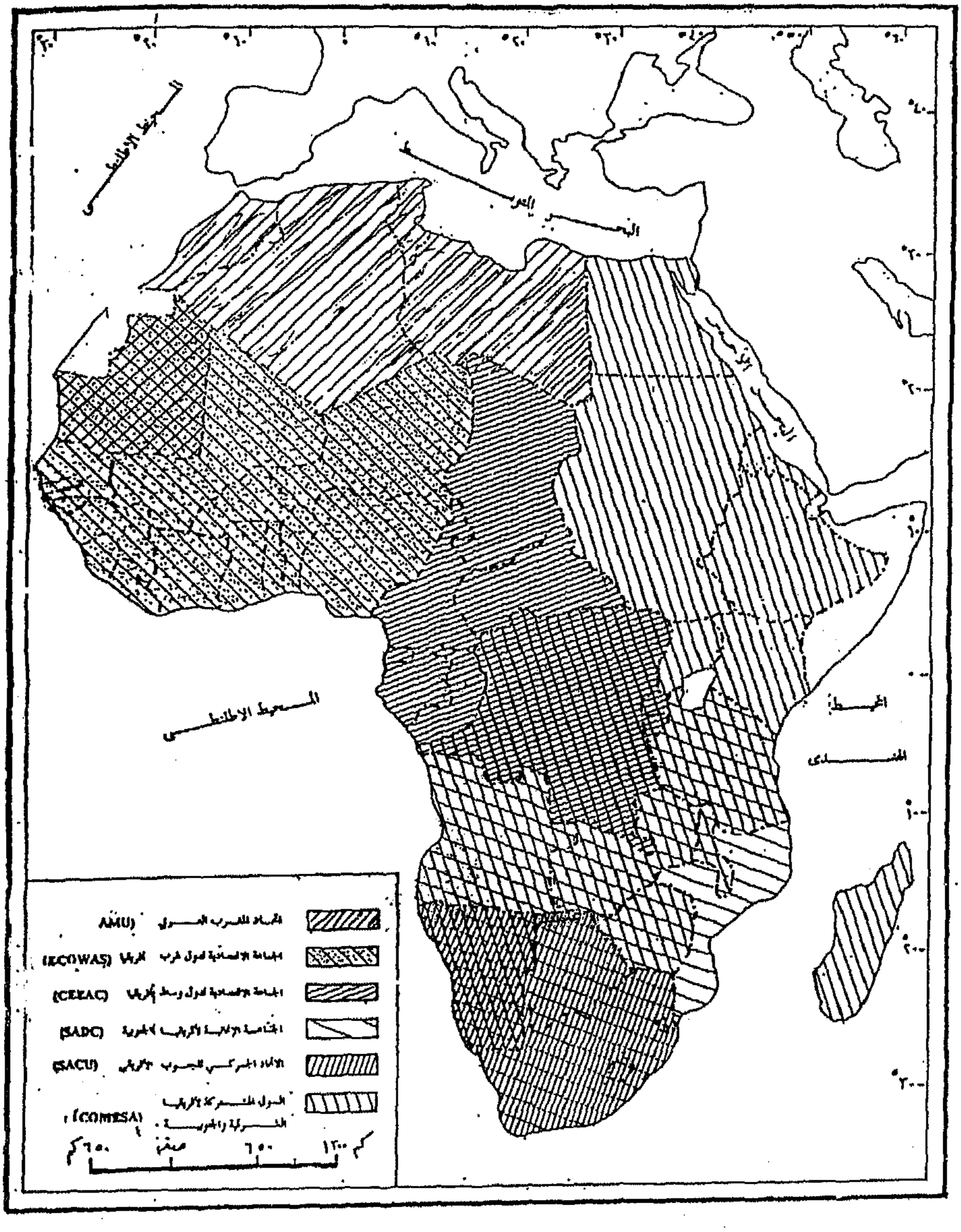

شكل رقم (١٢) : التجمعات الاقتصادية الرئيسية